رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

علاقات صلاح الدين

بإمارتي الموصل وأربل

دكتور محمد فتحي الشاعر
كلية الآداب - جامعة المنوفية

توزيع دار المعارف

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

علاقات صلاح الدين

بإمارتي الموصل وإربل

دكتور محمد فتحي الشاعر
كلية الآداب - جامعة المنوفية

توزيع دار المعارف

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة

الهدف من هذا البحث القاء المزيد من الأضواء الجديدة على المحور الذى دارت حوله سياسة صلاح الدين الرامية الى اعلان الجهاد ضد الصليبيين ، والعمل على اقامة جبهة عربية موحدة ، بعد أن وجد أن الضرورة الملحـــة تفرض عليه الاقتناع بأن الطريق الى تحرير القدس وغيرها من أيدى الصليبيين يبدأ باقامة تعاون وثيق مع امارة الموصل والمناطق التى تتبعها أو تجاورها من جميع الجهات ، بما فى ذلك امارة اربل التى انفصلت عن الموصل فى عهده، على أن تعمل تلك المناطق معه على شكل جبهة عربية موحدة تحت رايته من أجل تحرير القدس وغيرها • وان تتم تلك الوحدة دون اراقة لدماء المسلمين قدر المستطاع • وقد تحقق ذلك الهدف الى حد كبير بفضل حنكته السياسية، ومهارته الدبلوماسية وقوته العسكرية •

صلاح الدين هو يوسف بن يوسف بن شاذى • وكان مولد أيوب والد صلاح الدين فى قرية أجدانقان ، وهى على باب بلدة دوين (١) آخر عمـــل اذربيجان من جهة أران • وجميع أهل تلك القرية من الأكراد الروادية (٢) • وأخذ شاذى ولديه نجم الدين يوسف ، وأسد الدين شيركوه ، وخرج بهمـــا من قريته الى بغداد (٣) •

على أية حال قام مجاهد الدين بهروز بن عبد الله شحنة بغداد باختيـــار

---

(١) دوين هى بلدة من نواحى أران فى آخر حدود اذربيجان بالقرب من تفليس • انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ . ص ١١٢ •

(٢) المقريزى ، السلوك ، جـ ١ . ص ٤٢ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٤ ـ ٥•

(٣) ابن خلكان . وفيات الاعيان . جـ ٦ . ص ١٣٩ ـ ١٤٠ ؛ محمد فريد أبو حديد، صلاح الدين . ص ٦١ •

نجم الدين أيوب ليكون حافظا للقلعة فى تكريت التى كانت اقطاعا لمجاهد الدين بهروز • وكان انتقال نجم الدين أيوب وأسرته من بغداد الى تكريت قبيل سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م ، غير أن الأحوال اضطربت للخلاف الذى حدث بين الخليفة العباسى المسترشد سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م والسلطان مسعود السلجوقى ، وانضمام عماد الدين زنكى أتابك الموصل للسلطان السلجوقى وهزيمة عماد الدين زنكى فى بغداد ، وعودته الى الموصل عن طريق تكريت حيث أكرمه نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه ، وقدما له ولجيشه المنهزم كل مساعدة وعون (٤) •

وحفظ عماد الدين زنكى الجميل الذى قدمه نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه ، واستقبلهما عندما اضطرتهم الظروف أن مغادرة تكريت واللجوء اليه بالموصل وذلك سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م ، وهى السنة التى ولد فيها صلاح الدين (٥) •

وكان ميلاد صلاح الدين فى الفترة التى غادر فيها والده وعمه وأسرته تكريت الى الموصل • ومالت أسرة صلاح الدين للاحساس بأن قدوم هذا المولود لديهم يبعث على التشاؤم ، وتمنى بعضهم أن يكون قدوم هذا المولود الجديد فأل حسن ، وعامل خير ، وأن يجعل الله له شأنا(٦) •

وقضى صلاح الدين يوسف طفولته وصباه فى بعلبك ، ذلك لأن عماد الدين زنكى قام بتعيين نجم الدين أيوب واليا على بعلبك سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٩ م (٧)

---

(٤) أبو شامة ، الروضتين ، جـ ١ ، ص ٢١٠ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٣٥ ؛ د• سعيد عاشور ، الناصر صلاح الدين ، ص ٦٥ - ٦٨ ؛ د• أحمد بيلى ، صلاح الدين الايوبى ، ص ٣٨ •

(٥) أبو شامة ، الروضتين ، جـ ١ ، ص ٢١٠ - ٢١١ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٢٦ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٤٢ ؛ ابن أريبك الدوادار ، كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ٥١٤ •

(٦) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦ ، المقريزى السلوك ، جـ ١ ، ص ٤٢ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٨ ؛ السبكى ، طبقات الشافعية ، جـ ٧ ، ص ٣٤١ •

(٧) السبكى ، طبقات الشافعية ، جـ ٧ ، ص ٣٤١ •

والجدير بالذكر أن صلاح الدين كان فتى قادرا على المشاركة القتالية سنة ٥٤٦ هـ عندما تعرضت المناطق المجاورة لبعلبك للغزو الصليبى واغارات الصليبيين المتكررة ، عندما قام والده بالتصدى بكل قوة للغزاة الصليبيين (٨) ولا ريب أن مثل تلك الأعمال الوحشية التى مارسها الصليبيون ، وعمليات التخريب للاراضى الاسلامية لابد وأنها بالضرورة قد تركت أثارا فى نفس صلاح الدين ، بل وفى تكوين شخصيته ، وهو فى مرحلة الصبى وريعان الشباب ٠

والجدير بالملاحظة أن صلاح الدين الأيوبى تعرف على نور الدين محمود زنكى منذ سنة ٥٤٦ هـ ، وفى ذلك العام كان سن صلاح الدين حوالى ست عشرة سنة ميلادية ٠ وبرغم هذا السن الصغير فقد عمل صلاح الدين مع عمه أسد الدين شيركوه فى حلب الأمر الذى ساعده على مقابلة نور الدين محمود زنكى مرارا (٩) ٠

وفى الحقيقة كان النهج الوحدوى الذى سار عليه صلاح الدين الأيوبى هو امتداد لنفس الاسلوب الذى بدأه عماد الدين زنكى وسار عليه ولده نور الدين محمود ٠ ففى عهد عماد الدين زنكى ظهرت سياسة اقامة وحدة اسلامية قوية تحت قيادة امارة الموصل بغية رفع راية الجهاد وحشد كل الطاقات من أجل التصدى للغزو الصليبى ٠ وهذا المجال حقق الكثير سواء على طريق الوحدة أو التصدى للصليبيين ٠

فكان فتح امارة الرها الصليبية سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٣ م ، وسقوطها فى يدى عماد الدين زنكى ، أكبر تتويج لانتصاراته على طريق العمل الوحدوى ضد الغزو الصليبى (١٠) ٠ ولا ريب أن هذا الانتصار انما كان ثمرة واضحة لعامل الوحدة للامارة والمناطق التى دانت بالتبعية والطاعة للموصل منذ أن تولى عماد الدين زنكى مسئولية ادارة امارة الموصل منذ ٥٢١ هـ / ١١٢٧م

---

(٨) أبو شامة ، الروضتين ، جـ ١ ص ٤٨ ٠

(٩) أبو شامة ، الروضتين ، جـ ١ ، ص ٨٤ ٠

(١٠) للوقوف على المزيد من التفصيلات عن سقوط امارة الرها الصليبية فى يد عماد الدين زنكى ، انظر د٠ عليه الجنزورى ، امارة الرها الصليبية ، ص ٢٦٠ - ٣٢٧٠

على أية حال ، فقد كان سقوط الرها نتيجة للاصرار على رفع راية الجهاد واحكام ذلك الحصار الذى دام حوالى ثمانية وعشرين يوما ، الى أن تم فتح الرها (١١) ٠

والحقيقة أن تحرير الرها من الصليبيين ساعد على تدعيم الجبهة الاسلامية المتحدة والتى ضمت الشام والجزيرة الفراتية فى عهد عماد الدين زنكى ، هذا فضلا عن تحقيق الأمن والأمان لبلاد المسلمين التى كانت تتعرض لعدوان فرسان الرها من الصليبيين ، وتلك البلاد الاسلامية ، هى آمد ، ونصيبين ، ورأس عين ، والرقة (١٢) ٠

يضاف الى ما تقدم من نتائج سقوط الرها فى أيدى المسلمين ، أن عملية السقوط تلك كانت بمثابة الضربة الأولى التى منى بها الكيان الصليبى فى المشرق الاسلامى ، والتى كانت سببا فى ترنح هذا الكيان اللاتينى (١٣) ٠

واذا كان عماد الدين زنكى قضى حياته كلها فى الجهاد وفى العمل الوحدوى حتى مات قتيلا سنة ٥٤١ هـ / ١١٢٧ م (١٤) ٠ فانه نجح فى اقامة دولة قوية فى وقت قصير لا يزيد عن العشرين عاما ، وامتدت حدودها من شهرزور شرقا الى قرب سواحل سوريا غربا ، ومن آمد وديار بكر شمالا حتى تكريت جنوبا (١٥) ٠

وبوفاة عماد الدين زنكى تكون قد انتهت المرحلة الأولى والرائدة على طريق المحاولات الجادة من أجل اقامة وحدة فى الهدف والصف ، وبذلك يكون

---

(١١) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٧٩ ؛ ارنست باركر ، الحروب الصليبية ، ص ١٥٧ ٠

(١٢) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٦٦ ـ ٦٧ ٠

(١٣) د٠ سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٦٤ ٠

(١٤) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٨٤ ـ ٨٥ ؛ سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ١٩١ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص٩٩ـ١١٠ ٠

(١٥) د٠ حسين مؤنس نور الدين محمود ، ص ١٧٨ ٠

قد مهد السبيل لكل من نور الدين محمود ثم صلاح الدين الأيوبى ، على التوالى ، على طريق اقامة جبهة عربية متحدة للجهاد ضد الصليبيين ·

والواقع أن صلاح الدين شب وترعرع وسط جو مشحون بالجهاد ، وحشد كل الطاقات من أجل التصدى للغزو الصليبى ، لذلك كان خير قدوة للقائد المسلم الذى نذر حياته للجهاد فى سبيل طرد الغزاة والمعتدين من الصليبيين ·

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن اكون قد قدمت موضوعا جديدا لمكتبتنا العربية فى تاريخ العصور الوسطى ·

والله ولى التوفيق ·

بورسعيد فى ١٧/١٢/١٩٩٠ م

دكتور محمد فتحى الشاعر

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

صلاح الدين

وامارة الموصل

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١ - صلاح الدين والموصل في عهد سيف الدين غازى (الثانى) :

ترك موت نور الدين محمود زنكى فى شوال ٥٦٩ هـ / مايو ١١٧٤ م فراغا سياسيا كبيرا أعقبه حدوث متغيرات فورية على الساحة السياسية فى ذلك الحين ، هذا فى الوقت الذى كان فيه العالم الاسلامى فى أمس الحاجة الى شخصية قوية تعمل على توحيده للتصدى للغزو الصليبى الغاشم الذى اجتاح العالم الاسلامى دون هوادة ٠

وزاد من خطورة الموقف أن نور الدين محمود زنكى لم يترك سوى طفلا فى الحادية عشرة من عمره أسمه اسماعيل ، وابنة صغيرة ، وزوجته عصمة الدين خاتون ابنة معين الدين أنر (١) ٠

وكان طبيعيا أن يبادر أصحاب المطامع والطموحات فى اغتنام الفرصة بغية الاستفادة من الموقف المستجد الى أن تنجلى الأمور وتستقر ، وفقا لمبدأ البقاء للاصلح والأقوى ٠

ووفقا لهذا المفهوم الذى قدمناه بادر سيف الدين غازى (الثانى) أمير الموصل (٥٦٥ - ٥٧٦ هـ / ١١٦٩ - ١١٨٠ م) بضم عدة مناطق بمجرد سماعه بوفاة عمه نور الدين محمود زنكى (٢) ٠

ونجح سيف الدين غازى (الثانى) فى السيطرة على نصيبين ،

---

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٤٧ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٢ ، ص ٢٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٥ ٠

(٢) كان سيف الدين غازى (الثانى) أميرا للموصل عند وفاة عمه نور الدين محمود زنكى ، كما كان عماد الدين زنكى (الثانى) أميرا فى سنجار فى ذلك الحين ، وهما ابنا قطب الدين مودود بن زنكى ٠ انظر : ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٣٠ ، ١٢١ - ١٢٤ ٠ ثم انظر جدول رقم (١) فى نهاية البحث ٠

الخابور ، وحران ، والرها ، والرقة ، وسروج بالقوة (٣) ٠

حدث كل ذلك فى الوقت الذى اتفق فيه الأمراء كلهم فى دمشق على أن يكون الملك الصالح اسماعيل خلفا لوالده، وأجلسوه بالقلعة بدمشق ، وأقسموا يمين الولاء له ، وأصبح ابن المقدم يتولى قيادة العسكر والأتابكية (٤) ٠ لأن اسماعيل لم يكن قد بلغ الثانية عشرة من عمره (٥) ٠

وزاد الطين بلة أن الصليبيين انتهزوا فرصة وفاة نور الدين محمود زنكى ، ومحاولة الأمراء الاتفاق على موقف موحد على أن يكون الملك الصالح اسماعيل خلفا لوالده - وقاموا قبل مضى الشهر الأول على وفاة نور الدين محمود - بمهاجمة بانياس ، وحاصروها فى آخر شوال ٥٦٩ هـ / مايو ١١٧٤ م ، فاضطر ابن المقدم الى الخروج اليهم بهدف فك الحصار عن بانياس فى مقابل اطلاق سراح ما عنده من الأسرى الصليبيين بالاضافة الى دفع مبلغ من المال اليهم (٦) ٠

واذا كان صلاح الدين الأيوبى قد أعلن استمرار ولائه للملك الصالح

---

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ ؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٣٢٥ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ١ ، ق٢ ، ص ٥٩٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٤ - ٥ ٠

(٤) تطلق كلمة «أتابك» على من يقوم بتربية الامراء والملوك الصغار والكلمة تركية الاصل وتتكون من لفظين هما : « (أتا) بمعنى أب و (بك) بمعنى أمير أو سيد ، وأول من حصل على هذا اللقب الوزير نظام الملك من قبل الملك السلجوقى ملكشاه حتى فوض اليه تدبير المملكة سنة ٤٦٥ هـ ولقبه بألقاب منها (أتابك) ٠ انظر ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٦ ، ص ٣١٦ ؛ القلقشندى ، صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، جـ ٤ ، ص ١٨ ٠

(٥) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٢٦ ، سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ، ص ٣٢٤ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٢٠

(٦) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٣٢٤ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٢ - ١٣ ؛ ابو شامة ، كتاب الروضتين ، جـ ١ ، ص ٥٩٠ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ٢ ، ص ٧ ؛ السبكى ، طبقات الشافعية ، جـ ٧ ، ص ٣٦٠ ٠

من بعد والده نور الدين محمود ، وأنه تقبل عزاء نور الدين محمود ، لمدة ثلاثة أيام ، وأبلغ الملك الصالح اسماعيل بأن الخطبة والطاعة له كما كانت لوالده ، وأرسل دنانير مصرية عليها اسم الملك الصالح اسماعيل (٧) الا انه غضب بمجرد سماعه بما فعله سيف الدين غازى (الثانى) أمير الموصل (٥٦٥-٥٧٦ هـ / ١١٦٩ - ١١٨٠ م) ، وأرسل الى الملك الصالح اسماعيل معاتبا لعدم ابلاغه بما فعله أمير الموصل (٨) الذى استولى على البلاد التابعة له ، وتضمنت رسالة صلاح الدين الى الملك الصالح والأمراء ما يعبر عن علو مكانته على هؤلاء الأمراء عند نور الدين محمود مستشهدا باختيار نور الدين محمود له من دون غيره لادارة شئون مصر ومدعيا بغيرته الشديدة على مصالح الملك الصالح اسماعيل ، ومتهما اياهم بالتقاعس عن حفظ بلاده، ومعلنا رغبته فى الذهاب الى دمشق للمحافظة على أملاك الملك الصالح اسماعيل وفاء منه لوالده نور الدين محمود ومجازيا كل مقصر فى الدفاع عن البلاد (٩) . وزاد من غضب صلاح الدين موقف المهادنة الذى سلكه ابن المقدم

---

(٧) ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٦٢ - ١٦٣ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ق ١، ص ٧٧ .

(٨) وصف الرحالة ابن جبير مدينة الموصل فقال : « هذه المدينة عتيقة ضخمة ، حصينة فخمة ، قد طالت صحبتها للزمن ، فأخذت أهبة استعدادها لحوادث الفتن ، قد كانت أبراجها تلتقى انتظاما لقرب مسافة بعضها من بعض ، وباطن الداخل منها بيوت ، بعضها على بعض ، مستديرة بجداره المطيف بالبلد كله ، كأنه قدة مكن فتحها لغلظ بنيته وسعة وضعه ، وللمقاتلة فى هذه البيوت حرز وقاية ، وهى من المرافق الحربية . وفى أعلى البلد قلعة عظيمة قد رص بناؤها رصا ، ينتظمها سور عتيق البنية مشيد البروج . ودجلة شرقى البلد ، وهى متصلة بالسور ، وأبراجه فى مائها » . انظر ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ١٨٨ - والواقع أن الموصل هى عاصمة محافظة نينوى بالعراق . وهى من المدن القديمة وحملت اسم الموصل وهو عربى الاشتقاق ومعناه الموقع الذى يصل محلا بآخر وبلدة بأخرى وبسورها عدة أبواب . وتقابلها فى الجانب الشرقى أطلال مدينة نينوى التاريخية . والجدير بالذكر أن عماد الدين زنكى قام بتوسيع سور الموصل وجعل للسور تسعة أبواب . انظر ، جبال بابان ، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية ، جـ ١ ، ص ٢٨٧ - ٢٩٧ ثم انظر خريطة توضيحية لموقع وسور الموصل وأبوابها وأهم قلاعها فى آخر البحث .

(٩) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ١٣ ؛ أبو شامة ، الروضتين ، جـ ١ ، ص ٥٩٠ - ٥٩٣ ؛ السبكى ، طبقات الشافعية ، جـ ٧ ص ٣٦١ .

مع الصليبيين ، وطلب الغاء المعاهدة مع الصليبيين ، وأبلغهم بأنه خارج من مصر بقصد الجهاد ضد الصليبيين (١٠) ٠

على أية حال ، فقد تحرك صلاح الدين من مصر الى دمشق بناء على طلب ابن المقدم على ضوء الحاح أهالى دمشق بضرورة طلب النجـــدة من صلاح الدين وبخاصة أن ابن المقدم اتفق مع سيف الدين غازى (الثـانى) على الاحتفاظ بما استولى عليه من بلاد (١١) ٠

ولا ريب أن صلاح الدين أصبح فى تلك الفترة معقد آمال المسلمين ومحط أنظارهم نظرا لما انتاب أهالى دمشق من خوف نتيجة لتهديدات الصليبيين ٠

والواقع أن هدف صلاح الدين الأسمى كان اقامة دولة قوية موحـــدة يمكنها التصدى للاخطار المحدقة بالعالم الاسلامى وتمثلت تلك الأخطاء فى الغزوات الصليبية المستمرة بشراسة (١٢ ، ولن يتم له ذلك الا بتوحيـــد الامارات الزنكية كلها تحت قيادته (١٣) ٠

ولذلك ما أن وصلته الدعوة من أهالى دمشق بالحضور اليهم حتى بادر باعلان استنكاره لما فعله سيف الدين غازى (الثانى) أمير الموصل الذى احتل كثيرا من البلاد التابعة للملك الصالح ، كما بعث برسالة الى الأمراء فى مدينة حلب ، ووجه اليهم لوما شديدا بسبب اعتقالهم لأصدقائه من بنى ابن الداية ، كما ارسل الى الملك الصالح اسماعيل رسالة أبدى فيها استعداده

---

(١٠) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٣٢٤ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٨ ٠

(١١) الحنبلى ، شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، ص ٨٤ أ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٢٤ ـ ٢٥ ٠

(١٢) أبو شامة ، الروضتين ، جـ ١ ، ص ٣٣ ؛ القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ١٣ ، ص ٨٨ ـ ٩٠ ٠

(١٣) السبكى ، طبقات الشافعية ، جـ ٧ ، ص ٣٦١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٨٦ ٠

التام على تولى مسئولية الوصاية عليه (١٤) ٠

والواقع أن صلاح الدين كان يسيطر على جيش كبير فى مصر ، كما أنه كان يحكم أكبر الأقاليم الاسلامية ثروة وأكثرها خيرات ، وتتكون قواته من الأكراد ، والاتراك الذين كانوا تابعين لعمه أسد الدين شيركوه ، هذا بالاضافة الى القوات التى كونها فى مصر ، وكل ما تقدم أكد على ضرورة كونه الوارث الوحيد لنور الدين محمود ، وأن من واجبه توحيد تلك الدولة تحت رياسته ٠ ولا ريب فى وجود صفات القائد المقتدر فى شخص صلاح الدين الأيوبى ٠

على أية حال دخل صلاح الدين دمشق فى ربيع الآخر ٥٧٠ هـ / نوفمبر ١١٧٤ م ، واستقبله الجميع استقبالا حافلا ، ثم استولى على قلعة دمشق بعد اعلانه أنه قدم الى دمشق ليكون فى خدمة الملك الصالح ، واعادة البلاد التى أخذها سيف الدين غازى منه (١٥) ٠

ونجح صلاح الدين فى القضاء على المعارضة المتمثلة فى بعض الأمراء النوريين فى حمص التى دخلها فى يوم الأحد الموافق الحادى عشر من جمادى الأول ٥٧٠ م / الثامن من ديسمبر ١١٧٤ م ، بعد رفض هؤلاء الأمراء الانضمام اليه ضد الصليبيين ، وبعد أن اتهموه بحب السيطرة (١٦) ٠ ثم استولى على بعلبك فى يوم السبت الرابع من شهر رمضان ٥٧٠ هـ (١٧) ٠

---

(١٤) أبو شامة ، الروضتين ، جـ ١ ، ص ٢٣٤ ؛ القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ١٣ ، ص ٩٠ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ٨٥ ٠

(١٥) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ق ١ جـ ٨ ، ص ٣٢٧ ؛ السبكى ، طبقات الشافعية ، جـ ٧ ، ص ٣٦٢ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٨٠ ، الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ٨٤ ؛ ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٣٦ ٠

(١٦) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٣١ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٠ ؛ سبط ابن الجوزى ، جـ ٨ ، ق ، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٢١ ٠

(١٧) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ق١ ، جـ ٨ ، ص ٣٢٨ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ٨٥٠

واستولى على حمـــاة فى أول جمادى الثـــانى ٥٧٠ هـ / ٢٩ ديســـمبر ١١٧٤ م (١٨) ٠

وتم تتويج نجاح صلاح الدين بموافقة الخلافة العباسية فى بغداد على خطواته الرامية الى توحيد الجبهة الاسلامية للتمكن من الجهاد ضد الصليبيين وذكـــر فتـــوحاته وجهـــاده ضـــد الصـــليبيين ، ونجـــاحه فى اعادة الخطبة العباسية فى مصر ، وسيطرته على بلاد كثيرة من المغرب العـــربى ، وعلى بلاد اليمن ٠ فأرسل له الخليفة المستضىء بأمر الله موافقته على حكم مصر واليمن والمغرب والشام ولقب بالناصر (١٩) ٠

وكان الأمير كمشتكين قد استعان بقوات الموصل التى أرسلها اليـــه سيف الدين غازى (الثانى) لتنفيذ سياسة مناهضة لسياسة صلاح الدين ان لم يكن الهدف من ذلك القضاء على صلاح الدين ٠ ففى الوقت الذى عمل فيه صلاح الدين على اتحاد العالم الاسلامى تحت قيادته للتصدى للعدو المشترك للجميع ، وأعنى بهم الغزاة من الصليبيين ٠

على أية حال فقد نجح الأمراء المسيطرون على الملك الصالح اسماعيل فى نقل مركز الحكم من دمشق الى حلب ٠ وفى حلب تمكن كمشتكين من الانفراد بتنفيذ سياسته الرامية الى الانفراد بالوصاية على الملك الصـــالح اسماعيل ، وقام باعتقال بنى ابن الداية (٢٠) ٠ ولم يكتف الأمير سعد الدين كمشتكين بذلك ، وانما أرسل خطابا عدائيا الى صلاح الدين يتهمه فيه بحبه للسيطرة على أملاك سيده نور الدين محمود زنكى ، وابنه الملك الصـــالح

---

(١٨) ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٢٠ ـ ٢١ ؛ أبو شامة ، الروضتين ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٦٠٧ ـ ٦٠٨ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٣ ؛ابن أيبك الدوادارى ، الدر المطلوب ، ص ٥٨ ـ ٥٩ ؛ السبكى ، طبقات الشافعية ، جـ ٧ ، ص ٣٦٢ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ٨٦ ٠

(١٩) السبكى ، طبقات الشافعية ، جـ ٧ ، ص ٣٦٣ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٨٢ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ٨٧ ٠

(٢٠) أبو شامة الروضتين ، جـ ١ ، ص ١٧٤ ٠

اسماعيل (٢١) • ونجح كمشتكين فى اقناع الملك الصالح اسماعيل على ترك دمشق وضرورة الانتقال الى حلب ليتمكن من السيطرة على البلاد (٢٢) •

ولم يتورع الأمير كمشتكين عن الاتصال بمحاكم مدينة طرابلس الصليبى للتعاون معه ضد صلاح الدين حتى لا يتمكن صلاح الدين من السيطرة على حلب (٢٣) • واختتم كمشتكين خطته العدائية ضد صلاح الدين بتحريض جماعة من الاسماعيلية على قتله ، بيد أن المحاولة باءت بالفشل ، ونجح صلاح الدين فى قتل العديد منهم (٢٤) •

وكان موقف سيف الدين غازى (الثانى) من صلاح الدين عدائيا وسافرا ، فقد تتبع تحركات صلاح الدين ، وانتهز فرصة انشغال صلاح الدين فى الاستيلاء على حمص وبعلبك ، وقام بتجهيز جيش كبير تحت قيادة أخيه عز الدين مسعود بن مودود لتتمكن القوات الحلبية من الصمود أمام صلاح الدين ومحاولة القضاء عليه (٢٥) •

واتخذ سيف الدين غازى (الثانى) هذا الموقف العدائى بعد أن شعر بالخوف على أملاكه وكيانه نظرا لعلو نجم صلاح الدين (٢٦) • وتزايدت مخاوف أمير الموصل عندما أبلغه أمراء حلب بأن خطة صلاح الدين هى الاستيلاء على الموصل بعد استيلائه على حلب (٢٧) •

---

(٢١) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٣٢٧ •

(٢٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٨٥ •

(٢٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٢٤ •

(٢٤) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٣٢ ؛ سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٣٢٨ •

(٢٥) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٣٢٩ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٣١ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ٨٧ •

(٢٦) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٠ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٢٣ •

(٢٧) ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٢٢ ـ ٢٣ ؛ أبو شامة ، الروضتين، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٦٣٣ ـ ٦٣٧ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٣١ •

وكان صلاح الدين الأيوبى رجلا سياسيا على قدر وافر من الذكـــاء عندما تفادى خوض معركة ضد هذا التحالف القوى المعادى له · ودفعـــه الدهاء السياسى الى احداث شقاق بين الموصل وسنجار ، وأعنى بذلك الأخوين سيف الدين غازى (الثانى) أمير الموصل ، وعماد الدين زنكى (الثـــانى) أمير سنجار ·

فقد بادر صلاح الدين بكتابة رسالة الى عماد الدين زنكى (الثانى) أمير سنجار ، وأغراه برياسة البيت الزنكى باعتبـــاره أكبر أمراء البيت الزنكى (٢٨) · وتضمنت تلك الرسالة الاشارة الى أحقية عماد الدين زنكى بامارة الموصـــل (٢٩) ·

على أية حال أحرز صلاح الدين نجاحا كبيرا عندما تأثر عماد الدين زنكى (الثانى) بوجهة نظر صلاح الدين ، ورفض التعاون مع أخيه سيف الدين غازى (الثانى) (٣٠) ·

وأرسل سيف الدين غازى (الثانى) أخاه الثانى عز الدين مسعود الى حلب ومعه القوات الموصلية ، هذا فى الوقت الذى ذهب فيه سيف الدين غازى (الثانى) بنفسه الى سنجار لمحاصرة أخيه عماد الدين زنكى (الثانى) فى رمضان ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م (٣١) ·

ونظرا لقلة عدد القوات التى كانت تحت امرة صلاح الدين فى ذلك الحين فقد اضطر الى عقد مصالحة مع أعدائه لالتقاط أنفاسه ريثما يأتيه المدد (٣٢) · ولا ريب أن هذه سياسة اتسمت بالحكمة ، والمرونة ، والحنكة السياسية ·

---

(٢٨) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٣٣ ، الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ٨٧ ·

(٢٩) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٣٣ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ٨٧·

(٣٠) سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٣٢٢ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٣١ ـ ٣٢ ·

(٣١) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٣٣ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ٨٧·

(٣٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٩٠ ·

على أية حال عرض صلاح الدين على كمشتكين التنازل عن حمص ، وبعلبك ، واقتنع بدمشق وحدها على أمل احداث انشقاق بين أمير الموصل، وأمراء حلب • غير أن قادة جيش الموصل وقادة جيش حلب أبدوا استعدادا للحرب ، وساروا بعساكرهم صوب جانب نهر العاصى من شيزر (٣٣) •

على أية حال خاض صلاح الدين معركة ضد جيش سيف الدين غازى وقادة حلب ، وانتصر عليهم بعد معركة حامية قرب حماة فى رمضان ٥٧٠ هـ / أبريل ١١٧٥ م ، بعد أن وصله الامداد الكافى من المقاتلين ، وكذلك من قوات وفدت من مناطق أخرى ، وهرب جيش الموصل مدحورا ، وعاد عز الدين مسعود شقيق سيف الدين غازى الى الموصل بعد تلك الهزيمة النكراء ، التى أحاقت بالجيش الموصلى ، وترك جيش الموصل من خلفه أثقاله وأحماله ، ووقع فى الأسر عدد كبير من رجاله ، وغنم صلاح الدين كل ما كان مع الجيش الموصلى (٣٤) •

ولم يكن نجاح صلاح الدين قاصرا على ساحة الوغى ضد جيش الموصل وحلفائه فحسب ، وانما امتدت سياسته الحكيمة الى التوغل فى أعماق مدينة الموصل ذاتها ، وذلك بمحاولة شراء الأتباع من كبار الأمراء بالمدينة سرا ، ونجح فى ذلك المجال ، وأرسل اليهم الأموال حتى يثنيهم عن قتاله ولا يكونوا ضده (٣٥) •

وكانت ثمرة انتصار صلاح الدين فى معركة رمضان ٥٧٠ هـ / ابريل ١١٧٥ م ، أن سلم سيف الدين غازى وحلفائه بالشروط التى وضعها

---

(٣٣) الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ٨٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٩٠ •

(٣٤) سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٣٣٤ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥١ ؛ البندارى ، سنا البرق الشامى . جـ ١ ، ص ٢٢ ـ ٢٣ ؛ السبكى ، طبقات الشافعية ، جـ ٧ ، ص ٣٦٣ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٨٣ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٢٢٣ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ٨٧ ؛ ابن العماد الحنبلى ،شذرات الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٣٦ •

(٣٥) أبو شامة ، الروضتين ، جـ ١ . ص ٦٣٩ •

صلاح الدين والتى تلخصت فى الاعتراف بحق صلاح الدين فى الاحتفاظ بكل ما فى يديه ، وأن يترك حلب وذلك فى شهر شوال ٥٧٠ هـ / مايو ١١٧٥ م (٣٦) · ومن بين نتائج انتصار صلاح الدين على الجيش الموصلى ومن معه من حلفاء أن أعلن صلاح الدين نفسه حاكما على مصر والشام ، وتخليه عن التبعية للملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود (٣٧) ·

وتدعم مركز صلاح الدين عندما أبلغه الخليفة العباسى فى بغداد باعترافه بسلطته على مصر والشام · وبذلك أصبح صلاح الدين سلطانا شرعيا أمام كل المسلمين · وأصبح الوارث الوحيد لدولة نور الدين محمود · ولا شك أن ذلك الوضع الجديد جعل الصليبيين يحسبون ألف حساب لصلاح الدين ، كما أنهم بادروا بعقد هدنة معه (٣٨) ·

والواقع أن سيف الدين غازى لم يقبل بالهزيمة التى حاقت بجيشه ، كما أنه لم يقبل بالصلح الذى عقده الحلبيون مع صلاح الدين ، وأرسل الى حلب يعتب على الأمراء هناك ، واتهمهم بأنهم كانوا يهرولون من أجل عقد المصالحة مع صلاح الدين ، وأرسل اليهم من قام بأخذ المواثيق والعهود (٣٩) · ونجح سيف الدين غازى فى تسوية الخلافات مع أخيه عماد الدين زنكى (الثانى) أمير سنجار بعد أن كانت سنجار محاصرة بقوات الموصل ، واستعد سيف الدين غازى لخوض معركة انتقامية ضد صلاح الدين (٤٠) ·

وأرسل سيف الدين غازى رسولا الى صلاح الدين بدمشق ليأخذ له

---

(٣٦) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥١ ؛ أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٦٣٩ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٢٣ ·

(٣٧) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٣٥ ·

(٣٨) ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٣٥ ·

(٣٩) سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٣٣٢ ؛ أبو شامة ، الروضتين ، جـ ١ ، ص ٦٤٧ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٣٦ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ٨٨ ·

(٤٠) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٣٦ ؛ سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٣٣٣ ·

العهد ، وليكون عينا لأهالى الموصـــل لمعرفة نوايا صـــلاح الدين وخططه المستقبلية ـ غير أن هذا الرسول وصل الى دمشق ، وأخطأ عندما اخـــرج من كمه نسخة يمين أهالى حلب لسيف الدين غازى القاضية بنقض الهدنة المبرمة بينهم وبين صلاح الدين ، وعندما تسلمها صلاح الدين علم باتفاقهم عليه ، وأن أهالى حلب قد نقضوا ما أخذه عليهم من المواثيق ، وأبلغ صلاح الدين رسول الموصل بما حدث من خطأ فضح كل شىء (٤١) ٠

والواقع أن سيف الدين غازى (الثانى) كان مصمما على القضاء على صلاح الدين لذلك نجح ـ بعد جهود مضنية ـ فى اقامة تحالف مع سعد الدين كمشتكين ، وابن عمه الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود هذا من ناحية ، فضلا عن تعاونه مع الصليبيين ضد صلاح الدين من ناحية ثانية ، وذلك لاجبار صلاح الدين على خوض معركة فى جبهتين فى وقت واحـــد بحشد عساكره فى الموصل ، وفى ديار بكر ، وأخذ ينفق الأموال ببذخ لتجهيز الحملة الكبيرة ، وتعاون معه صاحب حمص كيفا ، وماردين ، وفى ربيـــع الأول ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م عبر سيف الدين غازى (الثانى) نهر الفـــرات ، واتجه صوب حلب ، وحدث اتفاق مع الأمراء فى حلب لاقامة تعاون عسكرى حلبى ـ موصلى ضد صلاح الدين (٤٢) ٠ وتأكد هذا التعاون عندما اجتمع سيف الدين غازى (الثانى) بابن عمه الملك الصالح اسماعيل بالقرب من حلب والاتفاق على ضرورة التخلص من صـــلاح الدين ٠ وفى تلك الأثناء عسكرت جيوش الموصل ، وحلب ، وديار بكر وغيرها عند تل السلطان ، وهى منزلة بين حلب وحماة (٤٣) ٠

---

(٤١) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ٣٢٢ ؛ أبو شامة ، الروضتين ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٦٤٧ ـ ٦٤٨ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٣٦ ـ ٣٧ ٠

(٤٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٣٦ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص٩٠ ٠

(٤٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥١ ـ ٥٢ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٣٣٣ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٦ ـ ٢٧ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٣٧ ـ ٣٨ ؛ البندارى ، سنا البرق الشامى ، جـ ١ ، ص ٢٠١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٩٢ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ٩٠ ٠

ولاحكام الضغط على صلاح الدين قام سيف الدين غازى ومعه سعد الدين كمشتكين بالاتفاق مع الصليبيين على التعاون معا ضده · ومن ثمار هذا التعاون الصليبى الموصلى الحلبى أن أطلق الحلبيون سراح الأسرى من الصليبيين فى حلب ، ومنهم البرنس أرناط صاحب حصن الكرك وجوسلين خال الملك وغيرهما (٤٤) ·

ولا يعقل أن يقف صلاح الدين الأيوبى مكتوف اليدين أمام هذا التآمر الخطير عليه ، وعلى مصالح المسلمين فى وقت يتربص فيه الصليبيون الدوائر ويكيدون للمسلمين كيدا ، ويتبعون معهم أساليب « فرق تسد » اذ من المعروف أن الصليبيين هم ألد أعداء المسلمين ·

على أية حال قبل صلاح الدين التحدى بكل شجاعة ووضوح · وعبر نهر العاصى بالقرب من شيزر ، ووصل الى تل السلطان حيث وجد التكتل المعادى له فى ذلك المكان (٤٥) ·

ولما كان صلاح الدين يعلم أن العدو يفوقه عددا وعدة لذلك بادر فى طلب الامدادات العاجلة ، واستدعاء العساكر المصرية على وجه السرعة (٤٦) · وفى الوقت نفسه بعث برسالة مفصلة الى الخليفة العباسى فى بغداد ذكر فيها ما فعله سيف الدين غازى أمير الموصل ، وأهالى حلب بعد أن نقضوا العهد الذى كان معقودا بين الطرفين ، ومن بين ما ورد فى تلك الرسالة أن صاحب الموصل كان قد حلف بحضور عدد من الفقهاء والأمراء بالموصل يمينا جعل الله فيها حكما ، ثم نقض هذا القسم وتآمر مع أهالى حلب ، بل انهم تعاونوا مع الصليبيين ضد صلاح الدين (٤٧) ·

---

(٤٤) أبو شامة ، الروضتين ، جـ ١ ، ص ٦٥١ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٣٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٩٢ ·

(٤٥) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٣٦ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٢٦ - ٢٧ ·

(٤٦) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥١ ؛ ابن كثير البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٩٢ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ٩١ ·

(٤٧) أبو شامة ، الروضتين ، جـ ١ ، ص ٦٥١ ·

على أية حال خاض صلاح الدين معركة ضد سيف الدين غازى (الثانى) أمير الموصل ومن معه من أمراء حلب فى تل السلطان (بنواحى حلب) ، وانتهت تلك المعركة بانتصار صلاح الدين عليهم جميعا فى شوال ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م (٤٨) . وخسر أمير الموصل المعركة وسقط الأسرى (٤٩) . ثم اتجه صلاح الدين صوب حلب يوم الأحد ١٣ شوال ٥٧١ هـ ، بعد أن فرق جميع غنائمه على رجاله ولم يحتفظ لنفسه بشىء منها (٥٠) .

ولا شك أن سيف الدين غازى (الثانى) تجرع كأس الهزيمة ، وذهب الى حلب بعد هزيمته ، وأخذ منها خزانته ، ثم عبر نهر الفرات ، ووصل الموصل وهو لا يصدق النجاة من هول المصيبة ، وطلب من أخيه عز الدين مسعود البقاء بحلب لحماية الملك الصالح اسماعيل ومحاولة تجميع الجنود المهزومين (٥١) . على أن حالة الذعر والهلع التى عانى منها سيف الدين غازى دفعته الى التفكير فى الاحتماء بقلعة عقر الحميدية (٥٢) خوفا من هجوم صلاح الدين عليه فى الموصل ، وأخذ رأى وزيريه جلال الدين ومجاهد الدين قايماز اللذان أشارا عليه بالبقاء فى الموصل (٥٣) .

وبالرغم من انتصار صلاح الدين فانه لم يشأ أن يهاجم حلب ، وانما

---

(٤٨) ابن الاثير . الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٣٦ ؛ ابن العديم زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٦ ـ ٢٧ ؛ أبو شامة ، الروضتين ، جـ ١ ، ص ٦٥٢ ؛ البندارى ، سنا البرق الشامى ، جـ ١ ، ص ٢٠١ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ٩١ .

(٤٩) ابن شداد . النوادرالسلطانية ، ص ٥٢ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ٣٩ ؛ السبكى . طبقات الشافعية ، جـ ٧ ، ص ٣٦٣ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٦١ .

(٥٠) أبو شامة . الروضتين ، جـ ١ ، ص ٦٥٥ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٣٩ .

(٥١) ابن الاثير . الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٣٦ ؛ أبو شامة النوادر السلطانية ، ص ٥٢ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٤٠ .

(٥٢) العقر . قلعة حصينة فى جبال الموصل أهلها أكراد ، وهى شرقى الموصل وتعرف بعقر الحميدية . انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٦ ، ص ١٩٥ .

(٥٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٤١ ـ ٤٢ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ٩١ .

اكتفى بتشديد الحصار عليها حتى تسقط بين يديه دون اراقة قطرة دماء ٠ ومن ثم نجح فى الاستيلاء على بلدة براغة فى الثانى والعشرين من شـــوال ٥٧١ هـ ثم استولى على بلدة منبج فى الشهر نفسه (٥٤) ٠

وأخيرا تم التوصل الى الصلح بين الموصل وصلاح الدين الأيوبى فى العشرين من محرم ٥٧٢ هـ ٠ وكان الصلح عاما وشاملا للموصل ، وحلب ، وديار بكر ، وماردين وكانت القاعدة الأساسية أن يكونوا جميعا على الناكث الغـــادر (٥٥) ٠

---

(٥٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٤١ ـ ٤٢ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ٩١ ٠

(٥٥) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٢٧ ؛ أبو شامة ، الروضتين ، جـ ١ ، ق ٢ . ص ٦٦٨ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٤٦ ٠

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٢ - صلاح الدين الأيوبى والموصل فى عهد عز الدين مسعود :

لم تحدث صراعات بين أمير الموصل وصلاح الدين الأيوبى منذ معاهدة ٥٧٢ هـ ، وسارت الأحوال على نحو مقبول ودون حدوث ما يعكر صفو العلاقات الى أن مات سيف الدين غازى (الثانى) بن مودود فى الثالث من صفر ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠ م ، بعد أن طال به المرض ، ومات وهو فى الثلاثين من عمره ، حكم الموصل منها حوالى عشر سنين (١) ٠

وكان سيف الدين غازى (الثانى) قد وافق - قبل وفاته - على أن يخلفه أخاه عز الدين مسعود وذلك لأن ابنه الأكبر معز الدين سنجر كان فى الثانية عشر من عمره ، ونصحه كبار امارة الموصل بأن عز الدين مسعود يتولى الحكم بعد أخيه أميرا على الموصل ليتمكن من التصدى لصلاح الدين، وأقطع ولده معز الدين سنجر شاه جزيرة ابن عمر (٢) وقلاعها ، وأقطع ولده الأخير ناصر الدين كشك عقر الحميدية (٣) ٠

غير أن الصراع السياسى بدأ بين أمير الموصل الجديد عز الدين مسعود (٥٧٦ - ٥٨٩ هـ / ١١٨٠ - ١١٩٣ م) ، وصلاح الدين الأيوبى بمجـــرد

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٥٠ ، الباهر فى الدولة الاتابكية ، ص ١٨٠ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٤ ، ص ٤ - ٥ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٩٢ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ١ ، قسم ١ ، ص ٩٣ ؛ ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٥٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٠٥ ٠

(٢) جزيرة ابن عمر هى بلدة فوق المصل بينهما ثلاثة أيام ولها وستاق مخصب واسع الخيرات ، وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة الا من ناحية واحدة شبه هلال ثم عمل هناك خندق أجرى فيه الماء ، ونصبت عليه رحى فأحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخندق ٠ انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ١٠٢ ٠

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٥٠ ؛ أبو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ١٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٩٢ ؛ الفسانى ، العسجد المسبوك ، ص ١٨٠ ٠

اعتلاء الأول كرسى الامارة ، اذ قام عز الدين مسعود بابلاغ صلاح الدين عن رغبته فى استمرار العلاقات الودية • على أن تكون سروج ، والرها ، والرقة، وحران ، والخابور ، ونصيبين ، فى يدى أمير الموصل ، غير أن صلاح الدين رفض هذا المطلب لأن تلك المناطق كانت تابعة لصلاح الدين بناء على تقليد الخليفة فى بغداد ، وأن صلاح الدين تركها فى يدى سيف الدين غازى مقابل أن يمد صلاح الدين بالعساكر التى يحتاج اليها (٤) •

وأدى هذا التصرف من قبل عز الدين مسعود الى مسارعة صلاح الدين بالكتابة الى الخليفة العباسى فى بغداد حتى يجعل امتلاكه لتلك البلاد شرعيا ويحظى بتأكيد الخليفة على ذلك • وضمنت رسالة صلاح الدين للخليفة العباسى ابلاغه بوفاة سيف الدين غازى ومطالبة الخليفة بمنح صلاح الدين تفويضا عاما بتلك البلاد لتقوية ثغور المسلمين هناك • واحتوت الرسالة على معلومات عن تصدى صلاح الدين للصليبيين ، وأن صلاح الدين لديه الاستعداد لمواصلة الجهاد ضد الأعداء • وأرسل الخليفة العباسى لصلاح الدين التفويض والتقليد والتشريف (٥) • وهكذا نجحت كل المساعى التى بذلها صلاح الدين فى هذا الشأن وتحقق له كل ما أراد •

على أن جوهر الصراع ظل قائما بين عز الدين مسعود (٥٧٦ ـ ٥٨٩ هـ / ١١٨٠ ـ ١١٩٣ م) أمير الموصل وصلاح الدين الأيوبى وتمثل ذلك فى السيطرة على حلب • فقد اعتبر صلاح الدين مدينة حلب وما جاورها من القلاع تابعة له بحكم تفويض الخليفة فى بغداد ، الا أن أمير الموصل ظل من الناحية العملية مالكا لحلب ، هذا فى الوقت الذى لم يستطع فيه صلاح الدين عمل أى شىء بهذا الخصوص لأنه كان موجودا فى مصر (٦) • وفى رجب ٥٧٧ هـ دخل عز الدين مسعود مدينة حلب ، بناء على وصية الملك

---

(٤) أبو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ١٧ •

(٥) ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٩٥ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٩٣ •

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٥٤ ؛ أبو شامة ، الروضتين ،جـ٢ ،ص٢١•

الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود (٧) بأن تسلم حلب الى ابن عمه عز الدين مسعود أثناء مرضه الذى أدى الى وفاته وعمره تسع عشرة سنة، وعمل كبار الأمراء بوصية الملك الصالح اسماعيل لاعتقادهم بأن عز الدين مسعود لديه المقدرة على التصدى لصلاح الدين هذا لأن البيت الزنكى كان شديد الحقد على صلاح الدين (٨) ٠

واستطاع عز الدين مسعود الاستيلاء على الخزائن والذخائر التى كانت موجودة فى مدينة حلب ، وظل مقيما فى قلعتها حتى السادس من شوال ٥٧٧ هـ - غير أنه أدرك صعوبة الاحتفاظ بحلب لبعدها عن الموصل ، ووجود تهديد منقبل صلاح الدين، كما أنالأمور الداخلية بالموصل كانتتشير الىوجود اضطرابات نتيجة لرغبة الأمراء فى زيادة رواتبهم واقطاعاتهم ، ومن ثم اضطر للذهاب للموصل، والعمل على اجراء تبادل مع أخيه عماد الدين زنكى (الثانى) أمير سنجار (٩) ، لأن سنجار اقرب الى الموصل من حلب ، ووافق عماد الدين زنكى (الثانى) على التبادل ، وصار أميرا على حلب (١٠) ٠

ومن الطبيعى الا يقف صلاح الدين موقف المتفرج أمام ما يجرى على الساحة ، لذلك بادر بالعمل على احباط تلك المحاولة ، وأجرى الاستعدادات

---

(٧) انظر ترجمته فى ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٨١ - ١٨٢ ؛ سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٣٦٦ - ٣٦٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٠٨ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٨٦ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٥٨ ٠

(٨) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٥٣ ؛ الباهر ، ص ١٨٢ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٤٩ ؛ الغسانى ، العسجد المسبوك ، ص ١٨٤ ؛ ابن تغرى بردى النجوم ، جـ ٦ ، ص ٨٩ - ٩٠ ٠

(٩) سنجار مدينة مشهور من نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، وهى فى لحف جبل عال ، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر جار ، وقدامها واد فيه بساتين ذات أشجار ونخيل ٠ انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ١٤٤ ٠

(١٠) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٥ - ٥٦ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٠٩ ٠

الحربية للتصدى لمثل هذا التصرف ، وأرسل الملك المظفر تقى الدين عمر - صاحب حماة - من أجل الاستعداد لمحاربة الزنكيين · واستعد للسفر من مصر الى الشام (١١) ·

ولكى يحظى صلاح الدين بالتأييد الأدبى والمعنوى والدينى فقد بادر بأبلاغ الخليفة العباسى فى بغداد بالموقف ، والقى الضوء على تواطؤ عز الدين مسعود أمير الموصل مع الصليبيين ، وتعامله مع الاسماعيلية ، وأوضح ضرورة محاربة الزنكيين لاقامة وحدة اسلامية ، وبخاصة بعد أن أغار الصليبيون على أنطاكية ، وهددوا المدينة المنورة · وأن أمير الموصل هاجم البلاد التابعة لصلاح الدين بدلا من التصدى للصليبيين الذين أغاروا على حارم ، ومارسوا عمليات سلب ونهب ، وسبى ، فى الوقت الذى يتخذ فيه أمير الموصل بطانة من الصليبيين من دون المسلمين (١٢) ·

ثم خرج صلاح الدين من القاهرة فى الخامس من محرم ٥٧٨ م ، قاصدا حلب ، وودعه علية القوم والشخصيات الكبرى فى القاهرة من العلماء والأدباء والشعراء أجمل توديع (١٣) · وفى الثامن عشر من جمادى الأولى ٥٧٨ هـ وصل صلاح الدين الى حلب ، وحاصرها لمدة ثلاثة أيام (١٤) · وهناك انضم اليه مظفر الدين كوكبرى ابن زين الدين على الذى كان يحكم قلعة حران ، وكان مظفر الدين هذا قد اختلف مع عز الدين مسعود أمير الموصل ، ووزيره مجاهد الدين قايماز (١٥) · غير أن صلاح الدين فك الحصار عن حلب بعد أن وجد أن الحكمة العسكرية تتطلب السيطرة على الحصون المجاورة لحلب أولا،

---

(١١) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٥٤ ؛ ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٨٣ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب جـ ٢ ، ص ١١٠ ·

(١٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ١١٠ - ١١٢ ·

(١٣) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ١٠١ ؛ الغسانى العسجد المسبوك ، ص ١٨٦ ·

(١٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١١٤ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ١٠٢ ·

(١٥) ابن شداد النوادر السلطانية ، ص ٥٦ - ٥٧ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب، جـ ٢ ص ١١٦ ·

ثم بعد ذلك من الممكن السيطرة على حلب دون قتال (١٦) ٠

والواقع أن صلاح الدين كان حريصا على حقن دماء المسلمين ، لذلك استخدم أساليب الاستمالة والمسالمة حتى لا يثير غضب المسلمين ضده ، وأعلن عن رغبته الجادة فى الجهاد فى سبيل الله ، ومحاربة الغزاة الصليبيين ، ومسالمة من يتعاون معه فى ذلك الأمر من جميع المسلمين ، وأرسل الرسائل المكتوبة الى كثير من الأمراء والحكام (١٧) ٠ وجاءت تلك السياسة بالنتائج المرجوة ، وأصبح الأمر سهلا أمام صلاح الدين اذ تمكن من السيطرة على حصن كيفا ، ومدينة رها ، والرقة ، والخابور ، وقرقسيا ، وعربان ، ومشهد الزمان ، وقلعة رأس العين ، والمجدل ، والحصين ، ونصيبين (١٨) ٠

وحرك الحقد قلب عز الدين مسعود أمير الموصل ، وشعر بخطورة الموقف وتعرضه للضياع عندما علم بما حققه صلاح الدين من انتصارات، لذلك سارع فى جمع عساكر الموصل ، واتجه الى نصيبين للدفاع عن حلب حتى لا تسقط فى أيدى صلاح الدين ، غير أن صلاح الدين كان قد عبر نهر الفرات، وبذلك قطع خطوط الرجعة على عز الدين مسعود ٠ ومن ثم اضطر عز الدين مسعود للعودة الى الموصل (١٩) ٠ ومن بين الأسباب التى دفعت عز الدين مسعود للعودة الى الموصل والتخلى عن فكرة الدخول فى صدام مسلح مع صلاح الدين هو أن بعض أمراء عز الدين مسعود مالوا الى صلاح الدين الأمر الذى فت فى عضد عز الدين مسعود (٢٠) ٠

لذلك اتصل عز الدين مسعود بالصليبيين بهدف طلب العون منهم لمقاومة صلاح الدين (٢١) ٠

---

(١٦) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ١٥٦ ٠

(١٧) ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٣٢ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١١٧ ٠

(١٩) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٥٧ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ١٠٠٠

(١٩) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٥٧ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ١٠٠٠

(٢٠) ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٨٣ ٠

(٢١) ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٣٣ ٠

فقام صلاح الدين بابلاغ الخليفة العباسى ببغداد عن تصرفات عز الدين مسعود المشبوهة ، والتى تنم عن خيانة مبادىء الاسلام والمسلمين بغية المحافظة على عرض الدنيا الزائل اذ تعاون مع الصليبيين لاضعاف صلاح الدين بعد أن فشل فى القضاء عليه (٢٢) ٠

وهكذا كشف صلاح الدين أهالى الموصل الذين أجبروه على محاصرتهم فى عقر دارهم بعد أن نجح فى عبور نهر الفرات ، والسيطرة على كل الحصون والقلاع علما بأن تلك الحصون والقلاع طلبت من صلاح الدين اعلان التبعية له والاخلاص والولاء التام ٠

وفى الحقيقة كان صلاح الدين يدرك جيدا أن الموقف على الساحة السياسية والعسكرية يتطلب وحدة الصف الاسلامى فى مواجهة الغزو الصليبى المتزايد ، والذى فى حاجة الى امدادات عسكرية من المناطق الاسلامية القريبة من الصليبيين ، وأعنى بها حلب ، وسنجار ، والموصل وتوابعها ، واربل وتوابعها ، وجزيرة ابن عمر وما حولها ٠ ولما وجد صلاح الدين أن آل زنكى يمثلون قوة ثالثة فى المنطقة ، وهى على خلاف معه ، لذلك اقتنع بأن الضرورة تحتم عليه أن يبذل كل ما استطاع من جهود دبلوماسية لتحقيق هذا الهدف ، وأن يلجأ الى اخضاعهم بالقوة بعد أن استنفد كل الوسائل السلمية ، وهذا ما حدث بالفعل ٠

على أية حال اتفقت الآراء على أن يبدأ صلاح الدين الأيوبى باحتلال الموصل بناء على وجهة نظر مظفر الدين كوكبرى ، ورأى ناصر الدين محمد ابن عمه شيركوه ، وذلك بعد أن أخذ صلاح الدين الآراء ، واستشار كبار رجاله بأى البلاد يبدأ الحصار : الموصل أم سنجار أو آمد (٢٣) ٠ وكان صلاح الدين الأيوبى قد وصل الى حد الاقتناع التام بضرورة استخدام القوة لكسر شوكة

---

(٢٢) ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٣٣ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ،ص١٠٣٠

(٢٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٥٧ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٣٣ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١١٩ ـ ٢٢١ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ١٠١ ٠

عز الدين مسعود لا سيما بعد أن اعتاد أهل الموصل على نكث العهود والاتصال بالصليبيين بهدف التعاون ضده (٢٤) ٠

وبناء على ما تقدم حاصر صلاح الدين مدينة الموصل لأول مرة بعد أن وصلها فى يوم الخميس الحادى عشر من رجب ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م ، واستمر الحصار حوالى خمسة وثلاثين يوما (٢٥) على أن الخلافة العباسية فى بغداد تدخلت للوساطة بناء على طلب الأمير مجاهد الدين قايماز المسئول عن المحافظة على الموصل ، واستجاب صلاح الدين لمطلب الخلافة العباسية ، وفك الحصار عن الموصل ، واتجه صوب سنجار (٢٦) ٠ وفى الطريق الى سنجار أسر صلاح الدين قوة العسكر الموصلية التى كانت متجهة الى سنجار ، واستولى على كل أسلحتهم ومعداتهم وخيولهم ثم أخلى سبيلهم وتركهم يعودون للموصل سيرا على الأقدام (٢) ٠

واضطر صلاح الدين الى استخدام القوة واقتحم أسوار سنجار بعد أن رفض حاكم سنجار تسليم قلعتها الى صلاح الدين دون قتال ، وبرغم انتصار صلاح الدين ودخوله سنجار فى الثانى من شهر رمضان ٥٧٨ هـ فانه سمح لحاكم سنجار بالخروج منها الى الموصل ومعه أمواله (٢٨) ٠ وعندما

---

(٢٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٦ ؛ ابن شاهنشاه ، مضمار الحقائق ، ص ١٠٩ ٠

(٢٥) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٢٠ ؛ السبكى ، طبقات الشافعية ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ١٠١ ؛ المقريزى ، السلوك، ج ١ ، ص ١٠٢ ٠

(٢٦) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٧ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ؛ ابن شاهنشاه ، مضمار الحقائق ، ص ١٠٧ ؛ السبكى ، طبقات الشافعية ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ ٠

(٢٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٥٨ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ٣٣ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٢٣ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ١٠١ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٧ ٠

(٢٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٥٩ ؛ ابن شاهنشاه ، مضمار الحقائق، ص ١١٠ ـ ١١١ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ١٠٢ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٢٣

دخل صلاح الدين سنجار اصدر عفـــوا عاما وأعفى المدينة من المكـــوس والضرائب التى كانت بها ورحب به كبار أهالى سنجار وقابلهم صلاح الدين مقابلة طيبة (٢٩) ٠

غير أن عز الدين مسعود أمير الموصل لم يقف مكتوف اليدين عنـدما وصل اليه أخوه شرف الدين أمير سنجار ، وعلم بسقوط تلك المدينة فى يدى صلاح الدين ، لذلك استعان بشاه أرمن سقمان ظهير الدين أتابك خلاط طالبا منه النجدة ، والمساعدة لدفع صلاح الدين عن الموصل بعد سقوط ســـنجار واستجاب سقمان الى طلب عز الدين مسعود وأرسل تهديدا شديد اللهجـــة الى صلاح الدين ، وانضمت اليه عسكر من ماردين ، ومن بدليس ، ومن وارزن بالاضافة الى قليل من عسكر الموصل والأثقال بحضور عـز الدين مسعود ، واتجهوا جميعا صوب حران حيث كان صلاح الدين يعسكر فى ذلك المـكان (٣٠) ٠

وعند حران أخذ صلاح الدين وضع استعداد للتصدى للاعداء وذلك بعد أن جاءه مدد من عند أمير حماه تقى الدين ، ثم ذهب صلاح الدين الى رأس العين غير أنه وجد أن الأعداء عادوا من حيث أتوا ، وتفرق شملهم دون أن يتمكنوا من احراز أى شىء (٣١) ٠

واتجه صلاح الدين صوب قلعة آمد (ديار بكر حاليا) ، وذلك فى يوم الأربعاء السابع عشر من ذى الحجة ٥٧٨ هـ / أبريل ١١٨٣ م ، وحـاصر تلك القلعة لمدة حوالى شهر لأن القلعة كانت منيعة ولها سور قوى (٣٢) ٠

---

(٢٩) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٥٩ ؛ ابن شاهنشاه ، مضمار الحقائق ، ص ١١١ ٠

(٣٠) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٨ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٣٨ ٠

(٣١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٨ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٣٨ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ ـ ١٣٤ ٠

(٣٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٦١ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٣٤ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ١٠٤ ٠

وفى الرابع عشر من المحرم ٥٧٩ هـ / السادس من مايو ١١٨٣ م سقطت آمد فى يدى صلاح الدين الأيوبى (٣٣) ٠

والواقع أن قلعة آمد كانت لها أهمية كبرى نظرا لما كان بداخلها من كميات كبيرة من الغلال والسلاح وآلات الحصار ، وسلم صلاح الدين مدينة آمد الى نور الدين الأرتقى بعد أن حلف له نور الدين يمين الولاء ، وتقديم كل عون ومساعدة عند الحاجة وبخاصة عند محاربة الصليبيين ، وأعطى نور الدين عهدا لصلاح الدين بأن يقيم العدل بين الناس فى آمد ، وتعهد بالسمع والطاعة لصلاح الدين (٣٤) ٠

على أن الحوادث التاريخية أثبتت حدوث نقطة تحول كبرى لصالح صلاح الدين بمجرد استيلائه على قلعة آمد ، ذلك لأن القلاع القريبة منها بادرت على الفور بطلب انضمام لصلاح الدين الأيوبى مثل قلعة ميافارقين ، وماردين ، حيث سارع صاحب كل قلعة منهما بارسال مندوبين للقاء صلاح الدين ، وتقديم فروض الولاء والطاعة ، حيث أكرمهم صلاح الدين (٣٥) ٠

وفى الحقيقة فان آمد وقلعتها والقلاع القريبة منها ، والتى كانت تحت أيدى الأراتقة صارت كلها تدين بالولاء ، والاخلاص لصلاح الدين ولعبت دورا مهما فى المشاركة فى الحروب ضد العدو الصليبى ٠

وهكذا لم يعد أمام صلاح الدين الا السيطرة على حلب ثم الموصل لاكمال حلقة الوحدة الاسلامية حول الصليبيين ٠ وعلى ذلك اتجه صوب حلب ، ومن ثم عبر نهر الفرات تجاه حلب وتوابعها ، وكانت حلب فى ذلك الحين تحت

---

(٣٣) أبو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٤٢ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٣٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢١٣ ٠

(٣٤) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ١٦١ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٤٢ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٣٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٢ ، ص ١٣ ٠٢

(٣٥) ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٤١ - ٤٢ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ١٠٤ ٠

امرة عماد الدين زنكى (الثانى) - أخو عز الدين مسعود صاحب حلب - ثم نزل صلاح الدين على تل خالد ، وهو مكان على مقربة من حلب ، واستلم قلعة تل خالد ومنح أهالى تلك القلعة الأمان ، وذلك فى الثالث عشر من المحرم ٥٧٩ هـ (٣٦) . ولم يعد أمام صلاح الدين سوى حصن عين تاب وبعده يدخل حلب ، وقد بادر صاحب حصن عين تاب بتقديم فروض الولاء والطاعة لصلاح الدين على الفور (٣٧) .

واتجه صلاح الدين صوب حلب ، ووصلها فى السادس والعشرين من المحرم ٥٧٩ هـ (٣٨) . وبرغم تفوق صلاح الدين من الناحية العسكرية فانه لم يشأ أن يقتحم حلب ، حتى لا يموت أحد من المسلمين قتلا ، ومن أجل حقن دماء المسلمين ، ولذلك نزل فى الميدان الأخضر لعدة أيام ، ثم ذهب الى جبل جوشن ، وقام ببناء مساكن له ، ولمن معه من الأمراء والجنود ، وكان يردد دائما أن هدفه البلد دون اراقة قطرة دماء (٣٩) .

وبذل عماد الدين زنكى (الثانى) - حاكم حلب وشقيق عز الدين مسعود حاكم الموصل - جهودا مضنية لمقاومة الحصار الذى ضربه صلاح الدين حول حلب . ولما طال الحصار لم يستطع عماد الدين زنكى تحمل قسوة الحصار والانفاق على الجنود ، والاضطرار الى بيع الأوانى من الذهب والفضة لتدبير الأموال ، لذلك كله فكر فى ضرورة التسليم الى صلاح الدين (٤٠) .

---

(٣٦) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٦١ - ١٦٢ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٥ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٤٢ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ١٠٥ .

(٣٧) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٥ ، ص ٧٩ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ١٠٥ .

(٣٨) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ، ١٦ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٤٢ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ١٠٥ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب ، ص ١٠٥ .

(٣٩) ابن الاثير ،الكامل، جـ ٩ ، ص ١٦٢ ؛ ابن شاهنشاه ، مضمار الحقائق وسر الخلائق ، ص ١٤١ .

(٤٠) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٦٣ ؛ ابن شاهنشاه ، مضمار الحقائق ، ص ١٤٢ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب جـ ٢ ، ص ١٤٢ .

وعلى أية حال جرت مفاوضـــات سرية بين صـــلاح الدين والأمير حسام الدين طمان باعتباره ممثلا شخصيا لعماد الدين زنكى (الثانى) ، وتم التوصل الى اتفاق ابان الحصار على أن يتسلم صلاح الدين حلب مقابل أن يتسلم عماد الدين زنكى سنجار ، والخابور ، ونصيبين ، وسروج ، وأن يكون عماد الدين زنكى تابعا لصلاح الدين ، وعلى استعداد تام للتعاون معه متى دعاه ، وأن تكون الرقة من نصيب الأمير حسام الدين طمان (٤١) ٠

وبناء على هذا الاتفاق المذكور دخل صلاح الدين مدينة حلب فى السابع عشر من صفر ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م ، ورحب عماد الدين زنكى (الثانى) وكبار قادته بصلاح الدين ، ودخلوا فى طاعته ، بعد أن قابلهم مقابلة كريمة وخلع عليهم (٤٢) ٠

ولا ريب أن الصليبيين انتابهم شعور بالهلع عندما علموا بنجاح صلاح الدين فى احكام القبضة عليهم وتوحيده للجبهة الاسلامية الموجهة ضدهم أولا وقبل كل شىء ، وزاد هذا الهلع عندما صارت مدينة حلب تابعة لصلاح الدين وكل ما حولها حتى سنجار وكل ما حولها وغيرهما أصبحت كلها تدين له بالولاء ، وعلى استعداد للتعاون معه ضد العدو المشترك الغازى الصليبى الذى سارع بالاتصال بصلاح الدين ، وارسال جماعة من أسرى المسلمين كسبا لرضاء صلاح الدين ، ولا شك أن هذا التصرف كان نتيجة لحالة القلق التى عانى منها هذا الغـازى (٤٣) ٠

وفى الحقيقة لم يعد أمام صلاح الدين سوى امارة الموصل حتى يتمكن

---

(٤١) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ ؛ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٥ ، ص ٥٧٩ ٠

(٤٢) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٦٤ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ١٤٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣١٣ ـ ٣١٤ ٠

(٤٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ ؛ د٠ سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٧٨٠ ٠

من خوض معركة فاصلة ضد الصليبيين وهى المعركة التى أعد لها العـــدة لأكثر من ســـنة ٠

ولم يكن اهتمام صلاح الدين بضم الموصل الى سيطرته بدافع نزعـة شخصية أو رغبة فى مجد شخصى بقدر رفعة راية « الجهاد فى سبيل الله » ، وبعد أن اقتنع بأن الواجب يحتم أن تكون الموصل معه وليست عليه وبخاصة أن حكامها كانوا بصفة دائمة يعملون على انجاز ما يحقق أمنهم فحسب دون النظرة الشاملة على مستوى العالم الاسلامى المحيط بهم ٠ وقد وصفهم صلاح الدين فى احدى رسائله للخلافة العباسية فى بغداد بأنهم ينزعون للخيانة اذ قال : « لو تحرك اليوم متحرك لكانوا له كنانة ، ولكانت بلادهم له خزانة ، ويرجو الخادم (يعنى صلاح الدين) بالموصل أن يكون الموصـل الى القدس وسواحله » (٤٤) ٠

على أية حال قام صلاح الدين بالعمل على تحقيق الهدف الذى أعلنـه بأن الموصل هى الطريق الى القدس وأن السيطرة عليها يفتح له طريق الجهاد فى سبيل الله ٠ وعلى ذلك خرج صلاح الدين من دمشق متوجها صوب الموصل فى الثانى عشر من المحرم ٥٨١ هـ / ١١٨٤ م ، وواصل مسيرته حتى وصل الى موضع قرب الموصل يعرف بالاسماعيليات ، ومعه عساكره ، وخيـــم هناك لمحاصرة الموصل للمرة الثانية ٠ ومن هذا المكان بعث برسالة الى الخليفة العباسى فى بغداد لاصلاغه بالخطوات التى سيتخذها ، ووصف له أحوال أهالى الموصل ، وما هم عليه من تواطؤ مع الصليبيين ، وعلاقتهم بســلطان العجم الذى ينقشون السكة باسمه ، وشرح للخليفة أسباب حصاره للموصل، وهى نصرة الاسلام ورد أهالى الموصل لطاعة الخليفة (٤٥) ٠

وفى الاسماعيليات ، وهو المكان الذى عسكر به صلاح الدين بدأت عملية اقطاع البلاد للجند ٠ وأرسل صلاح الدين جماعة من رجاله للسيطرة على

---

(٤٤) ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٤٩ ٠

(٤٥) ابن شداد النوادر السلطانية ، ص ٥٦ ، ٦٧ ـ ٦٨ ؛ سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٣٨٣ ؛ ابن وصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٨ ٠

الحصون المجاورة للموصل مثل حصن العقر والحميدية (٤٦) · والجـــدير بالذكر أن حصار صلاح الدين للموصل للمرة الثانية كان محكما ، وبخاصة بعد أن استطاع صلاح الدين استقطاب معز الدين سنجر صاحب جزيرة ابن عمر وتوابعها ضد عمه عز الدين مسعود الذى حضر بجنوده وجنود من دارا· والمهم فى هذا الأمر اشتراك أمير اربل زين الدين يوسف بن زين الدين ومعـه جيشه ، ووقف بجانب أخيه مظفر الدين كوكبرى بالجانب الشرقى من الموصل لصالح صلاح الدين ، وانضم الى صلاح الدين كثير من الأكراد ومن أهالى الهكارية (٤٧) ·

وبرغم كل ما تقدم ظل صلاح الدين محاصرا للموصل قرابة شهر من الزمان ، حدثت خلاله حوادث قتالية بين جنود الموصل وجنود صلاح الدين فى الجانب الشرقى من مدينة الموصل · غير أن الظروف أجبرت صلاح الدين على فك الحصار عن الموصل ، والاسراع الى مدينة خلاط للسيطرة عليها · الا ن شمس الدين البهلوان كان قد سبقه اليها ، واحتلها ، ولذلك اضطر صلاح الدين الى التوجه صوب ميافارقين (٤٨) ·

على أن استيلاء صلاح الدين لمدينة ميافارقين جاء وفقا لاتباعه أساليب الدهاء السياسى بعد أن تعذر عليه اقتحامها · فقد تصدى مقدم جند تلك المدينة للهجوم الذى شنه صلاح الدين بعد أن ضرب حصارا حول تلك المدينة· عند ذلك لجأ صلاح الدين للحيلة حيث قام بابلاغ صاحبة المدينة التى ورثتها عن زوجها قطب الدين أن قائدها الأمير برقش ولقبه أسد الدين يراســـل

ز (٤٦) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ص ١٦٧ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٦٢ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٦٨ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، ص ١١٥ ·

(٤٧) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٦٨ ·

(٤٨) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٣٨٤ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٩ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ ؛ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٥ ، ص ٥٨٢ ـ ٥٨٣ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ١١٥ ؛ ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٦٨ ·

صلاح الدين لتسليم المدينة له دون علمها ، وأغراها صلاح الدين بالزواج منها ، وأن يزوج ابنه احدى بناتها ، والمحافظة عليها فى ميافارقين · وفى الوقت نفسه جرت رسل صلاح الدين الى الأمير أسد الدين برقش ، وأبلغته أن خاتون ميافارقين تميل للصلح مع صلاح الدين الأمر الذى ساعد الى حد كبير على تسلم صلاح الدين لمدينة ميافارقين بسلام · ومن ميافارقين اتجه صلاح الدين صوب الموصل لحصارها للمرة الثالثة (٤٩) ·

وللمرة الثالثة والأخيرة ذهب صلاح للموصل ومكث فى كفر زمار القريب من الموصل حتى انتهاء فصل الشتاء · وكان وصوله الى المكان فى شهر شعبان ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م · ثم ارسل اليه عز الدين مسعود وفدا يتكون من النساء وفيهن ابنة الملك العادل نور الدين محمود زنكى (٥٠) · وقبل صلاح الدين طلب النساء واكرمهن ، وأمكن التوصل الى المصالحة بين صلاح الدين وعز الدين مسعود على أن يكون عماد الدين زنكى (الثانى) ، صاحب سنجار وسيطا فى المصالحة ، وحكما فيما يحقق المصلحة العامة (٥١) ·

غير أن الظروف لم تساعد صلاح الدين على دخول مدينة الموصل بعد اجراء المصالحة مع عز الدين مسعود أمير الموصل ، وذلك لاصابة صلاح الدين بمرض شديد أثناء وجوده فى كفر زمار ، واضطراره للرحيل الى حران فى مستهل شهر شوال ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م ، ومكث تحت العلاج بعد أن أحضر له أخوه الملك العادل الأطباء من حلب · على أن صلاح الدين ظل محافظا

---

(٤٩) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٩ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ ؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٣٨٤ ؛ الحنبلى ، شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، ص ١١٥ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٥ ، ص ٢٠٦ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٦٨ ·

(٥٠) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٠ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٦٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ ؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٣٨٤ ·

(٥١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٠ ـ ٧١ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٦٤ ـ ٦٥ ·

على شروط الصلح مع الموصل والتى عقدت فى أوائل ذى الحجة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م ، حتى توفاه الله (٥٢) ٠

والواقع أن المصالحة احتوت الأسس التالية : قيام عز الدين مسعود بتسليم صلاح الدين شهرزور وأعمالها ، وولاية بنى قفجاق ، والقرابلى (البوازيج) ، وعانة ٠ وموافقة عز الدين مسعود على أن تكون الخطبة له (الموصل ، وديار بكر ، وبلاد الجزيرة) ، وأن تقطع الخطبة السلجوقية من تلك البلاد ٠ وأن يتم سك النقود باسم صلاح الدين فى تلك البلاد ٠ والتزام عز الدين مسعود بضرورة التعاون مع صلاح الدين بعساكره متى استدعاه، وأن يتعاون الطرفان ضد العدو الصليبى ٠ وفى مقابل ما قدمه عز الدين مسعود لصلاح الدين الأيوبى أن وافق صلاح الدين على ترك الموصل وأعمالها يتحكم فيها عز الدين مسعود بأمره على أن يكون تابعا لصلاح الدين (٥٣)٠

ولا يخفى على أحد أن شخصية صلاح الدين القوية كانت المحرك الأول لكل هذه الانجازات التى عادت على المسلمين بالخير والتصدى للغزو الصليبى الغاشم ، وأن كل هذه الانجازات الرامية الى توحيد الصف والهدف للعالم الاسلامى المحيط بالصليبيين مكن المسلمين جميعا من خوض معركة حطين والانتصار فيها حيث شارك فى خوضها مسلمون من بلاد متعددة، وكذلك الانتصارات التى تلت المعركة وفتح بيت المقدس على يد هذا القائد المقتدر الذى رفع راية الجهاد فى سبيل الله ، فنصره الله جلت قدرته ٠

والحق يقال أن الموصل التزمت بشروط الصلح الذى عقد بين صلاح الدين الأيوبى وعز الدين مسعود أمير الموصل ، وقدم الأخير كل عون ممكن حيث ساهم بالمال والرجال فى حركة « الجهاد فى سبيل الله »،

---

(٥٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٠ ـ ٧١ ٠

(٥٣) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٧٠ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٠ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٦٤ ـ ٦٦ ؛ ابن شاهنشاه ، مضمار الحقائق وسر الخلائق ، ص ٢٢٥ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٧٢ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ١١٥ ٠

التى رفع علمها صلاح الدين الأيوبى وذلك بناء على طلب صلاح الدين · فعلى سبيل المثال شاركت عساكر الموصل فى الهجوم على طبرية فى ربيع الآخر ٥٨٣ هـ ، كما اشتركت فى معركة حطين ، وكان الأمير فخر الدين مسعود بن الزعفرانى قائدا لعسكر الموصل (٥٤) ·

واستمرت عساكر الموصل فى تقديم التضحيات عن طريق المشاركة فى المعارك التى حدثت بعد موقعة حطين ، اذ كانت قوات الموصل ضمن القوات التى فتحت بيت المقدس فى رجب ٥٨٣ هـ · كما أرسل عز الدين مسعود كميات من النفط الأبيض ، ومجموعة كبيرة من التروس والرماح أثناء حصار صلاح الدين لعكا · وكان النفط الأبيض نادرا فى ذلك الحين ، لذلك بادر صلاح الدين بكتابة رسالة شكر لعز الدين مسعود جاء فيها : « وصل السلاح وتم للاسلام من قروح الكفر الاقتراح ، واستجيدت التراس والرماح ، وفارقت لقائها أجسام الأعداء الأرواح ، واتصل بالنفط الابيض الواصل الى أهل النار الاحتراق » (٥٥) ·

وفى سنة ٥٨٤ هـ شاركت العساكر الموصلية مع قوات الشرق التى تعاونت مع صلاح الدين عندما تجمعت جيوشه عند حصن الأكراد من الجانب الشرقى ثم دخلت القوات الاسلامية فى الأراضى التابعة للصليبيين ، وأغاروا على عدد من تلك حتى اقتربت الجيوش الاسلامية طرابلس ثم عادت تلك القوات بعد أن غنمت الكثير ثم عادت كلها وأقامت تحت حصن الأكراد · والجدير بالذكر أن المؤرخ ابن الأثير كان مع صلاح الدين وكان شاهد عيان (٥٦) ·

وواصلت الموصل المساهمة فى التصدى للغزو الصليبى ، ففى سنة ٥٨٦ هـ رسل عز الدين مسعود ولده علاء الدين خرم شاه على رأس جيش الموصل ، ورحب به صلاح الدين ، وظل علاء الدين مشاركا فى حصار عكا

---

(٥٤) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٧٥ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٥ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٨٧ ـ ١٨٨ ·

(٥٥) عماد الدين الكاتب الاصفهانى ، الفتح العشى ، ص ٣٥٠ ·

(٥٦) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٩٠ ·

حتى ذى القعدة من سنة ٥٨٦ هـ (٥٧) · ثم انضمت قوات الموصل بقيـــادة علاء الدين خرم شاه الى قوات صلاح الدين فى جمادى الأولى سنة ٥٨٧ هـ · والواقع أن صلاح الدين فرح فرحا شديدا لتعاون الموصل معه ، واكرم الأمير علاء الدين خرم شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل ، وأمر بضرب حيمته بين ولديه الملك الأفضل والملك الظاهر ، وظلت العساكر الموصلية بجوار صلاح الدين الأيوبى حتى سنة ٥٨٨ هـ (٥٨) ·

وعندما أراد صلاح الدين بناء سور حول بيت المقدس وتعميق الخنـدق المحيط بها سنة ٥٨٧ هـ ، أرسل عز الدين مسعود حاكم الموصل الى صلاح الدين حوالى خمسين رجلا من الحجارين (٥٩) · وشارك هؤلاء فى أعمال التحصين، وقطع الصخور واقامة أحد الأبراج (٦٠) · وتولى عز الدين مسعود الانفاق على كل هؤلاء الحجارين والحفارين طيلة الأشهر الستة التى استمر فيهـــا العمل لبناء سور حول بيت المقدس (٦١) ·

على أن عساكر الموصل لم تعد الى بلادها الا بعد أن عقد صلاح الدين هدنة مع الصليبيين ، وبعد أن أذن لهم صلاح الدين بذلك ، وكانت عودتهم فى رمضان ٥٨٨ هـ مع عساكر سنجار (٦٢) · وبذلك تكون الموصل قد أدت الأمـانة وشاركت فى الجهاد حتى آخر لحظة مع البطل صلاح الدين الأيوبى ·

---

(٥٧) عماد الدين الكاتب الاصفهانى ، الفتح القسى ، ص ٣٨٣ ·

(٥٨) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٢٢ ، ٢٣٦ ·

(٥٩) عماد الدين الكاتب الاصفهانى ، الفتح القسى فى الفتح القدسى ، ص ٥٧٦ ·

(٦٠) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٢١٧ ·

(٦١) عماد الدين الكاتب الاصفهانى ، الفتح القسى فى الفتح القدسى ، ص٥٧٦ ·

(٦٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٣٦ ·

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

صـــلاح الدين

وامـــارة اربـــل

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١ ـ صلاح الدين والأمير زين الدين يوسف بن على كوجك :

كانت اربل وتوابعها ضمن أملاك حاكم الموصل منذ أن استولى عليها عماد الدين زنكى الى أن تمكن زين الدين يوسف حاكمها من اعلان انفصاله عن الموصل واعلان ولائه وتبعيته لصلاح الدين الأيوبى والتعاون معه ضد الصليبيين ٠

والواقع أن زين الدين على بن بكتكين ـ والد كل من مظفر الدين كوكبورى ، وزين الدين يوسف ـ كان نائبا عن البيت الزنكى ، منذ عهد عماد الدين زنكى ، مؤسس ذلك البيت ، فى حكم الكثير من البلاد التى بيده منها اربل (١) التى بها بيته ، وأولاده ، وخزائنه ، ومنها شهرزور ، وجميع القلاع التى معها ، وجميع بلاد الهكارية ، وقلاعهم ، والعمادية وغيرها ، وقلعة عقر الحميدية ، وتكريت ، وسنجار ، وحران ، هذا كله كان اضافة الى عمله الأصلى والأساسى الا وهو حكمه لقلعة الموصل ٠ وكان زين الدين على بن بكتكين مفرطا فى الذكاء ، وعرف بكوجك ، وهى كلمة تركية تعنى قصير القامة ، وكان تركيا أسمر اللون ٠ وفى سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٨ م طلب من أتابك قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل أن يسمح له بالذهاب الى اربل للاقامة ها بعد بلوغه سن الشيخوخة وبضعف قوته ، ولفقده بصره، وسمعه ٠ وطلب من الأتابك قطب الدين أن تكون اربل له فوافق الأتابك

---

(١) وصف ياقوت الحموى اربل فقال « قلعة حصينة ومدينة كبيرة فى فضاء من الارض واسع بسيط ، ولقلعتها خندق عميق ، وهى طرف من المدينة ، وسور المدينة ينقطع فى نصفها ، وهى على تل عال من التراب ، عظيم واسع الرأس ، وفى هذه القلعة أسواق ، ومنازل للرعية ، وجامع للصلاة ، وهى شبيهة بقلعة حلب ، الا أنها أكبر وأوسع رقعة ٠ وهى بين الزابين ، تعد من أعمال الموصل ، وبينهما مسيرة يومين ٠ وفى ربض هذه القلعة ، مدينة كبيرة ، عريضة طويلة ، قام بعمارتها وبناء سورها ، وعمار أسواقها وقيسارياتها ، الامير مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين كوجك على ، فأقام بها ، وقامت ، بمقامه بها ، لها سوق » ٠ انظر ياقوت ، كتاب معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ١٧٣ ٠

قطب الدين على مطلبه · ولما مات زين الدين على كان خادمه مجاهد الدين قايماز المتولى لامور اربل نيابة عن زين الدين على · وتوفى زين الدين على فى اربل بعد أن جاوز المائة ودفن بها (٢) ·

على أن انشغال الأمير زين الدين على كوجك بأعماله المكلف بها فى الموصل منعه من وجوده المستمر فى اقطاعته اربل ، كذلك عين بها نائبا عنه لادارتها هو سرفتكين أبو المنصور بن عبد الله الزينى ظل يدير شئون اربل حتى وفاته ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م ، ثم خلفه مجاهد الدين قايماز بناء على تفويض من زين الدين على كوجك (٣) · وهكذا تولى مجاهد الدين قايمـــاز حكم اربل بالاضافة الى رعاية مظفر الدين كوكبورى ، وأخيه زين الدين يوسف ولدى زين الدين على كوجك حتى وفاة زين الدين على كوجك فى سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٨ م (٤) · وعندما توفى زين الدين على كوجك استمر مجـــاهد الدين قايماز يدير شئون اربل بالوصاية على مظفر الدين كوكبورى الذى كان فى الرابعة عشر من عمره ، وخلف والده على عرش اربل باعتباره الابن الأكبر لزين الدين على كوجك (٥) · ولذلك يمكن القول ان الحكم فى اربل كان لمظفر الدين كوكبـــورى ، « اسما لا معنى ولمجـــاهد الدين صـــورة ومعنى » ، على حد قـــول ابن الأثير (٦) ·

على أنه سرعان ما دب خلاف بين الشباب مظفر الدين كوكبورى الحاكم الشرعى لاربل ومجاهد الدين قايماز الوصى على عرش اربل لأن مظفر الدين كوكبورى كان لديه نزعة استقلالية عن الموصل ، فى الوقت الذى كان يرى فيه

---

(٢) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٩٧ ؛ الباهر فى تاريخ الدولة الاتابكية ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ ؛ ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، جـ ٤ ، ص٢٠٩؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٢ ، ص ٢٧٠ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ١ ، ص ١٥٢ ·

(٣) ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٣٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ٢، ص٢٧٠·

(٤) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٩٧ ·

(٥) ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٣٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٢ ، ص ٢٧١ ·

(٦) ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٧٧ ·

مجاهد الدين قايماز استمرار التبعية للموصل وارسال الأموال اليها (٧) ٠ على أية حال نجحت خطة مجاهد الدين قايماز فى السيطرة على اربل وطرد حاكمها الشرعى مظفر الدين كوكبورى وتعيين شقيقه الأصغر زين الدين يوسف ، وذلك بعد أن تمكن من الحصول على موافقة كتابية لكبار رجال اربل تحت ذريعة أن مظفر الدين كوكبورى ليس أهلا للحكم (٨) ٠

والواقع أن الحوادث التاريخية التى مر بها مظفر الدين كوكبورى منذ طرده من اربل الى أن دخلها ليحكمها فى عهد صلاح الدين الأيوبى بعد وفاة أخيه زين الدين يوسف أثبتت أن مظفر الدين كوكبورى يتمتع بقدر من الذكاء، والنشاط ، والمقدرة الى الحد الذى جعله موفقا فى تعاملاته سواء مع حكام الموصل أو مع صلاح الدين أو مع غيرهم ٠ وسيرد ذكره فى الصفحات التالية ٠

على أية حال ذهب الأمير المطرود مظفر الدين كوكبورى الى الموصل فى بداية حكم الأمير سيف الدين غازى بن مودود بن عماد الدين زنكى (٥٦٥ - ٥٧٦ هـ / ١١٦٩ - ١١٨٠ م) حيث عمل تابعا له ، وأقطعه مدينة حران ليستقر بها (٩) ٠

أما اربل فقد صار الحكم فيها وفى أعمالها فى يدى الأمير مجاهد الدين قايماز من الناحية العملية برغم كونه وصيا على زين الدين يوسف حتى سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م ، وهى السنة التى دعاه فيها سيف الدين غازى (الثانى) حاكم الموصل (٥٦٥ هـ / ١١٨٠ م) ليكون نائبا له وحاكما على قلعة الموصل (١٠) ٠

والواقع أن زين الدين يوسف بن على الابن الأصغر لزين الدين على

---

(٧) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٣ ، ص ٢٤٦ ٠
(٨) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٤ ، ص ١١٤ ٠
(٩) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٤ ، ص ١١٤ ٠
(١٠) ابن الاثير ، الباهر فى تاريخ الدولة الاتابكية ، ص ١١٧ ٠

كوجك انتهز فرصة ذهاب مجاهد الدين قايماز الى الموصل ، وقام باعلان انفراده بالحكم فى اربل ، والغاء التبعية لأتابكية الموصل ، وبادر باعلان الانضمام الى صفوف صلاح الدين الأيوبى ، والعمل تحت رايته (١١) ٠

وهكذا أصبح لاربل رأى مستقل تماما وبعيد عن سيطرة الموصل ٠

ويبقى السؤال المطروح والذى يتبادر الى الذهن هو : هل يقبل حاكم الموصل هذا التصرف من قبل أمير اربل ، وبخاصة أنه وجد نفسه محاطا بقوات تابعة لصلاح الدين شرقا وغربا ؟ ٠

والحقيقة أن عز الدين مسعود (٥٧٦ ـ ٥٨٩ هـ / ١١٨٠ ـ ١١٩٣ م) حاكم الموصل بذل جهودا مضنية فى سبيل استعادة أربل ، وابعاد صلاح الدين عنها ٠ لذلك اتصل عز الدين مسعود حاكم الموصل بالخليفة العباسى الناصر لدين الله (٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ / ١١٨٠ ـ ١٢٢٥ م) على أمل تقديم المساعدة ، وانهاء الصراع الدائر بينه وبين صلاح الدين ، وبخاصة موضوع اربل ، وبالفعل أرسل الخليفة العباسى وفدا الى دمشق لمقابلة صلاح الدين هناك (١٢) ٠ وبرغم الجهود التى بذلتها الخلافة العباسية لتقريب وجهات النظر بين صلاح الدين والموصل فان المفاوضات توقفت وذلك لتمسك ممثل الموصل بضرورة ذكر اسم اربل فى الاتفاقية (١٣) ٠ هذا فى الوقت الذى أصر فيه صلاح الدين على أن لزين الدين يوسف الحق فى اختيار الجانب الذى يرغب فى التعاون معه والانضمام اليه ، وكان ذلك الموقف من قبل صلاح الدين نابعا من منطلق أن اربل وحاكمها معه تماما بتمام ، وعلى ذلك لم يهتم صلاح الدين بالتهديدات التى أطلقها وفد الموصل ، بشأن طلبهم مساعدات عسكرية من ملوك العجم (بلاد الجبال وأذربيجان) بهدف استرداد اربل

---

(١١) ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٦١ ٠

(١٢) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٧٨ ؛ ابو شامة ، الروضتين، جـ ٢ ، ص ٥٣ ـ ٥٤ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٥٦ ٠

(١٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٥ ٠

وعودتها لتبعية الموصـــل (١٤) • على أن الموقف توتر للغـــاية عندما رد صلاح الدين على تهديد وفد الموصل بتهديد أعنف وأشد (١٥) •

وهكذا انتهت وساطة الخلافة العباسية فى بغداد بالفشل الذريع نتيجة لاصرار صلاح الدين الأيوبى وتمسكه بموقفه •

والواقع ان تمسك صلاح الدين بموقفه لم يأت من فراغ اذ ان انضمام اربل اليه يتمشى مع سياسته المعلنة الرامية الى تعاون الدول الاسلامية للجهاد فى سبيل الله ضد الغزو الصليبى الغاشم هذا من ناحية ، كما أنه كان على دراية تامة بالصراع السياسى الدائر داخل أسوار مدينة الموصل بين كبار الأمراء بها ، وانتهى هذا الصراع بالقاء القبض على مجاهد الدين قايمـــاز نتيجة لتآمر عز الدين زلفنداز ، وشرف الدين أحمد بن بى الخير اللذين كانا من كبار رجال الموصل (١٦) •

وفى الوقت نفسه بادر صلاح الدين باصدار منشور جديد حدد بموجبه موقفه من القوى الاسلامية وقصد به اعلان تأييـــده لموقف اربل المعلن فى الانفصال عن الموصل ، والتبعية لصلاح الدين ، وحذر فيه من محاولة الاعتداء على أى بلد يتعاون مع صلاح الدين • بل ان هذا المنشور حدد معالم امارة اربل على وضعها بعد أن أعلنت عدم تبعيتها للموصل ، وتعينت الحدود ، وصارت تشمل المنطقة الواقعة بين دجلة غربا ، والزابين شمالا وجنوبا ، وتمتد الى شهرزور وأعمالها شرقا ، وبذلك قصد صلاح الدين ايجاد امـــارة قوية وسط منطقة مناهضة له تحيطها بلاد الجبل شرقا وصاحبها شمس الدين البهلوان محمـــــد بن ايلدكز (ت ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م) ، وبلاد أذربيجـــان وصاحبها قزل ارسلان عثمان بن ايلدكز (ت ٨٥٧ هـ ـ ١١٩١ م) (١٧) •

---

(١٤) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٦٦ •

(١٥) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٧٨ •

(١٦) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٦٥ •

(١٧) ابن الاير الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٧٠ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ ؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٧٨ •

أما فى الغرب فأحاطت بها امارة الموصل التى ظلت على عناد مع صلاح الدين حتى ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م حيث تم ابرم معاهدة صلح استهدفت تعاون الموصل مع صلاح الدين ضد الصليبيين (١٨) ٠

والواقع أن الموصل نفذت تهديداتها لصلاح الدين بهدف استعادة اربل الى تبعيتها ، وانتزاعها من سيطرة صلاح الدين الأيوبى ٠ اذ أرسل الأتابك عز الدين مسعود نائبه مجاهد الدين قايماز - بعد أن أطلق سراحه من السجن الذى قضى به عشرة أشهر - الى شمس الدين البهلوان محمد بن ايلدكز صاحب بلاد الجبل ، والى أخيه قزل أرسلان عثمان بن ايلدكز صاحب بلاد اذربيجان ، طالبا النجدة ، ضد صلاح الدين ، والمساعدة لاستعادة اربل التى أعلنت انضمامها الى صلاح الدين (١٩) ٠

ولا ريب أن الأخوين المذكورين بعاليه (ابنى ايلدكز) كانا يدركان مدى خطورة امتداد نفوذ صلاح الدين حتى حدود بلادهما بعد انضمام اربل اليه. كذلك كان من الطبيعى أن يسارعا فى الاستجابة لمطلب أتابك الموصل عز الدين مسعود ، ونائبه مجاهد الدين قايماز لابعاد شبح الخطر عن بلادهما ٠

على أية حال ، غادر مجاهد الدين قايماز الموصل وذهب الى بلاد العجم (بلاد الجبل وبلاد أذربيجان) فى أوائل ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ، ووصل الى اذربيجان وقابل حاكمها قزل أرسلان الذى قابله مقابلة حسنة ، وأبدى استعدادا فوريا لتنفيذ رغبة الأتابك عز الدين مسعود ، وأبلغه أنه سيقوم بنفسه بابلاغ شقيقه شمس الدين البهلوان محمد بن ايلدكز صاحب بلاد الجبل ٠ وبالفعل حصل مجاهد الدين قايماز على مساعدة عسكرية قوامها ثلاثة آلاف فارس ، وتم ارسالهم فورا للسيطرة على مدينة اربل ٠ غير أن هؤلاء الفرسان بدأوا يفعلون كل شىء يتنافى مع الأخلاق ، والدين ، والمبادىء ، والشرف ،

---

(١٨) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، ، جـ ٩ ، ص ١٨٢ ؛ ابو شامة ، الروضتين جـ ٢ ، ص ٦٤ ٠

(١٩) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٧٠ ؛ الباهر ، ص ١٨٤ ٠

فى أعمال امارة اربل وتوابعها قبل التوجه الى مدينة اربل ذاتها ، فنهبوا ، وخربوا ، واعتدوا على النساء (٢٠) ٠

على أن الأمير زين الدين يوسف أمير الموصل ، أعد العدة للتصدى للمعتدين ، وهجم عليهم بعد قيامه بحركة التفاف سريعة ، واستطاع الحاق هزيمة نكراء بهؤلاء المعتدين ، واستولى على كل ما كان معهم ٠ وهكذا تفرق شملهم وعادوا من حيث أتوا ، هذا فى الوقت الذى شعر فيه مجاهد الدين بالندم على ما فعله ، وبخاصة بعد أن عرف ما فعله الجنود من سلب ونهب واعتداء على أرواح الرجال واغتصاب النساء (٢١) ٠

والواقع أن هذا الانتصار الذى أحرزه أمير اربل زين الدين يوسف على حاكمى بلاد العجم وامارة الموصل رفع من مكانته أمام صلاح الدين الأيوبى ، ووطد دعائم حركته الاستقلالية التى انتهجها وعمل على تقوية مركزه فى المنطقة كلها ٠ على أن صلاح الدين الأيوبى لم يسكت على هذا الاعتداء الغاشم الذى حرضت عليه الموصل والذى قام بتنفيذه فرسان العجم ٠

فمن الثابت تاريخيا أن صلاح الدين تحرك على الفور فى خريف ٥٨١ هـ / ١١٨٥ متوجها للموصل للانتقام ، ووصل قرية كفر الزمار القريبة من الموصل (٢٢) ٠ وكانت هذه هى الجولة الثالثة والاخيرة لصلاح الدين مع أتابكة الموصل ٠

على أية حال استمر وجود صلاح الدين فى قرية كفر الزمار حوالى شهرين ، وترددت رسل المفاوضات بينه وبين أتابك الموصل ، وشارك المؤرخ ابن شداد فى مهمة اجراء المصالحة والرضوخ لشروط صلاح الدين لعجزه

---

(٢٠) ابن الاثير ، الكامل ،جـ ٩ ، ص ١٧٠ ٠

(٢١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٧ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ ؛ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٥ ، ص ٥٨١ ٠

(٢٢) ابن الاثير الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٦٥ ؛ ابو شامة الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ٠

عن الحصول على مساعدة من ملكى بلاد العجـــم (٢٣) · وتمخضت تلك المصالحة على انتهاء حالة العداء بين الموصل وصلاح الـــدين ، علما بأن مجاهد الدين قايماز لعب دورا مهما فى اتمام المصالحة (٢٤) · والجـــدير بالذكر أن امارة الموصل صارت تابعة لصـــلاح الدين وفقا لتلك المصالحة ، وبدأت تخطب له على منابرها ، وتضرب السكة باسم صلاح الدين ، بعـــد أن كانت الخطبة والسكة باسم السلطان السلجوكى (٢٥) · وهكذا زاد اطمئنان امارة اربل ، ولم تعد لديها مخاوف من الموصل ·

والمهم فى الأمر أن الأمير زين الدين يوسف صاحب اربل ، شارك فى الحروب الصليبية ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م بناء على استدعاء صلاح الدين للامراء للمشاركة فى الجهاد (٢٦) · وبالفعل تقدم هذا الأمير ومعه قوات كانت على أتم الاستعداد للقتال (٢٧) · وكانت قوات الأمير زين الدين يوسف بجـــوار قوات أخيه مظفر الدين كوكبورى صاحب حران والرها فى ذلك الحين ، والذى كان قد أعلن انضمامه لصلاح الدين من قبل (٢٨) ·

واستمر زين الدين يوسف فى حالة تعاون مع صلاح الدين ، وانضـــم الى صفوفه فى بداية جمادى الأولى ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م ، وحضر المعـــارك التى خاضها صلاح الدين ، وفى رمضان ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م أصاب زين الدين يوسف مرض منعه من البقاء فى صفوف الجيش ، فطلب من صـــلاح الدين

---

(٢٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٤ ـ ٧٠ ·

(٢٤) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٦٥ ·

(٢٥) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٣٨٤ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٦٤ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٧٢ ؛ المقريزى، السلوك ، جـ ١ ، ص ٨٩ ـ ٩٠ ·

(٢٦) ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ١٥٠ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٣٠٦ ·

(٢٧) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٢٣ ·

(٢٨) ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ص ١٥٣ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٣٠٧ ؛ عماد الدين الاصفهانى ، الفتح القسى ، ص ٣٨٤ ·

العودة الى اربل غير أن صلاح الدين لم يوافق على طلبه ، فاضطر زين الدين يوسف الى مغادرة حصن الخروبة المجاور لمدينة عكا ، ووصل الى الناصرة ، واشتد عليه المرض ثم توفى ليلة الثانى والعشرين فى رمضان ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م (٢٩) · ومن الجدير بالملاحظة أن زين الدين يوسف كان يشارك فى القتال فى فلسطين ثم يستأذن للذهاب الى اربل ، ووصل الى فلسطين فى العشر الأخير من جمادى الأولى ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م ، ومعه جيشه الذى كان منظما ومنظره يبعث على السرور ، واحترمه صلاح الدين وأكرمه ، وأنزله خيمته ، وأمر بضرب خيمة زين الدين يوسف بجوار خيمة أخيه مظفر الدين كوكبورى (٣٠) · على أية حال مات حاكم اربل فى ساحة الوغى بفلسطين بعيدا عن موطنه وهو يجاهد فى سبيل الله ·

---

(٢٩) ابن شداد ،النوادر السلطانية ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ١٦٤ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ، جـ ٢ ، ص ٣٣٩ ؛ عماد الدين الاصفهانى ، الفتح القسى ، ص ٣٩٨ ؛ الغسانى ، العسجد المسبوك ، ص ٢٠٩ ؛ ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب جـ ٤ ، ص ٢٨٨ ·

(٣٠) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢١٠ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٤٣ ·

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٢ ـ صلاح الدين والأمير مظفر الدين كوكبورى

الواقع أن العلاقة بين صلاح الدين ومظفر الدين كوكبورى شقيق زين الدين يوسف أمير اربل كانت قوية قبل وفاة أخيه زين الدين يوسف · ومن أسباب قوة تلك العلاقة المصاهرة التى كانت تربط مظفر الدين كوكبورى بالبيت الأيوبى · فقد كان مظفر الدين كوكبورى متزوجا من أخت صلاح الدين ، وهى ربيعة خاتون ، وقد تم هذا الزواج ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م ، بعد وفاة زوجها الأمير سعد الدين مسعود بن معين الدين أنر الذى كان من أمراء نور الدين محمود صاحب حلب (١) · هذا والأهم من ذلك أن مظفر الدين كوكبورى كان بمثابة الوريث الشرعى لعرش اربل ، وأنه سبق له أن تولى حكم اربل وطرده منها مجاهد الدين قايماز · لذلك ووفقا لما تقدم وافق صلاح الدين على عودة مظفر الدين كوكبورى الى اربل وبلادها ليحكمها وأضاف اليها شهرزور (٢) وأعمالها · وأصدر منشورا يوضح فيه المبررات كلها (٣) ·

---

(١) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٥٨ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات ، جـ ٤ ، ص ١١٥ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٣٥٣ ·

(٢) شهرزور وصفها ياقوت الحموى (ت ٦٢٦) فقال : « كورة واسعة فى الجبال بين اربل وهمذان · وهن مدينات وقرى فيها مدينة كبيرة وهى قصبتها · ويقال لها نيم ازراى ، وأهلها عصاه على السلطان استطعموا الخلاف واستعذبوا العصيان ، والمدينة صحراء ولاهلها بطش وشدة ، وأكثر أمرائهم منهم وبلدهم مشتى ستين ألف بيت من أصناف الاكراد والجلالية والباسيان والحكمية والسولية ولهم به مزارع كثيرة ومن صحاريهم يكون أكثر أقواتهم ··· وبشهرزور مدينة · أخرى دونها فى العصيان والنجدة تعرف بشيز · وهذه البلاد اليوم فى طاعة مظفر الدين كوكبورى بن على بن كوجك صاحب اربل على أحسن طاعة الا أن الاكراد فى جبال تلك النواحى على عادتهم فى اخافة أبناء السبيل وأخذ الاموال والسرقة ولا ينهاهم عن ذلك زجز ولا يصدهم عنه قتل ولا أسر وهى طبقة الاكراد معلومة وسجية جباههم موسومة » · انظر ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٣١٢ ـ ٣١٣ ·

(٣) ابو شامة ، الروضتين . جـ ٢ ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب. جـ ٢ ، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ؛ الغسانى العسجد المسبوك ، ص ٢١٠ ·

والواقع أن أول تعاون قدمه مظفر الدين كوكبورى مع صلاح الدين كان الهجوم الناجح على مدينة نابلس ، بعد محاولة فتح حصن الكرك المنيع فى شرقى البحر الميت ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م (٤) ٠

وشارك مظفر الدين كوكبورى فى حصار الكرك للمرة الثانية بعد حوالى ثلاث سنوات أى فى سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ، أثناء اشتداد الخطر الصليبى عندما كانوا يقطعون الطريق على الحجاج ، كما كانوا يستهدفون احتلال المدن الاسلامية فى الحجاز ٠ وكان مظفر الدين كوكبورى على رأس القادة الذين انتصروا على الصليبيين فى ذلك الحين ٠ وقاد القوة المحاربة التى اختارها صلاح الدين وولده الأفضل للاغارة على الصليبيين عند عكا حيث دارت معركة شرسة انتهت بانتصار المسلمين (٥) ٠

غير أن الدور الذى لعبه مظفر الدين كوكبورى فى معركة حطين فاق كل الأدوار السابقة ، حيث أبلى فيها بلاء حسنا ، وكان أحد كبار القادة فى معركة حطين ، وقد منحه صلاح الدين الأيوبى كل ثقته (٦) ٠ وبعد انتصار المسلمين فى حطين أمر صلاح الدين الأمير مظفر الدين كوكبورى بأن يذهب للناصرة ، وبالفعل ذهب مظفر الدين كوكبورى اليها ، وسيطر عليها سيطرة تامة (٧) ٠ ومن الاهمية بمكان التذكير بأن مظفر الدين كوكبورى هو الذى قام باضرام النار فى هشيم الأعشاب والحشائش حيث تأججت النيران تحت حوافر الصليبيين عند طبرية (٨) ٠

---

(٤) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٦٧ ؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٨٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٤ ، ص ١١٥ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٨٣ ٠

(٥) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٧٥ ٠

(٦) عماد الدين الكاتب ، الفتح القسى ، ص ١٤ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٧ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٢٥٦ ، ابن تغرى بردى ، جـ ٦ ، ص ٣٩ ٠

(٧) عماد الدين الكاتب ، الفتح القسى ، ص ٣٢ ٠

(٨) سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٣٨٣ ٠

وساهم مظفر الدين كوكبورى بدور فعال فى معركة البرج ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م وأحرز المسلمون نصرا فى مدينة طرسوس الساحلية الواقعة شمال طرابلس ، وجمعوا الغنائم ، مما دفع الصليبيون الذين نجوا من الموت الى الاعتصام ببرجين حصينين · وكان مظفر الدين كوكبورى قد توجه الى البرج الثانى واقتحمه غير أنه لم يصيبهم بأذى ذلك لأنه أبلغهم أن من يسلم نفسه فهو آمن · وعلى ذلك خرجوا ، ثم قام مظفر الدين كوكبورى بهدم البرج بعد ذلك (٩) ·

وكانت آخر معركة شارك فيها مظفر الدين كوكبورى قبل ذهابه الى اربل هى المعركة التى دارت رحاها عند عكا بين المسلمين والصليبيين ، عندما استدعى صلاح الدين كل الأمراء ، وكان مظفر الدين أول من وصل من الأمراء ومعه عساكره سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م (١٠) ·

ومما تقدم يتضح أن مظفر الدين كوكبورى شارك بدور مشرف ، وبارز، ومتميز ، فى معارك الجهاد لطرد الصليبيين من المناطق التى سيطروا عليها فى الساحل الشمالى لبلاد الشام ، وفى بيت المقدس · كما أن عودته الى اربل ليتولى الحكم هناك بناء على موافقة صلاح الدين ، كما أن عودته تظهر بوضوح مدى مقدرته ، وتعاونه فى العمل ضد الغزاة ·

والواقع أن مظفر الدين كوكبورى تمكن من السيطرة على اربل بعد فترة غياب بلغت حوالى عشرين سنة ، وكان قد خرج منها مطرودا · واستلمها بناء على منشور أصدره صلاح الدين خصيصا لهذا الأمر · وقد ساعده هذا المنشور على استلام اربل دون اعتراض أحد أو اراقة دماء ، وورد فى هذا المنشور الترحم على وفاة حاكم اربل زين الدين يوسف · وأن الحكم كان فى

---

(٩) عماد الدين الكاتب ، الفتح القسى ، ص ١٣٢ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٨ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٢٦ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٢٥٧ ·

(١٠) عماد الدين الكاتب ، الفتح القسى ، ص ١٨٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٠٤ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٤٢ ·

البيت الزينى منذ حوالى سبعين عاما وأثنى على الأمير مظفر الدين كوكبورى بحكم مقدرته وكفايته ، وأنه أحق الناس بمقتضى وصية والده ، وأن صلاح الدين أختاره ليحل محل أخيه (١١) ٠

وبعد أن ذهب مظفر الدين كوكبورى الى اربل ، واعتلى عرش الامارة هناك ، أرسل اليه صلاح الدين أكثر من رسالة ، واستهدف صلاح الدين من ذلك أن يسارع مظفر الدين بالمشاركة بنفسه ، وعساكره للجهاد فى سبيل الله ، والتصدى للعدوان الصليبى الغاشم ٠ وكان الصليبيون قد أحرزوا عدة انتصارات على المسلمين ، وأن ملوك الصليبيين قد وصلوا ، وحققوا انتصارات على المسلمين ، وأن الصليبيين يواصلون زحفهم ، ويحتفلون بانتصاراتهم ٠ ويذكر صلاح الدين فى تلك الرسالة أن المسلمين بقيادة صلاح الدين هاجموا العدو ، غير أن المسلمين لم يتمكنوا من الانتصار على الصليبيين ، لأن الصليبيين كانوا يقاتلون وهم فى حماية الأسوار والخنادق - ومن الأنباء المحزنة التى وردت فى تلك الرسالة أن بعض الأمراء لاذوا بالفرار، وخانوا المسلمين ، مما أدى الى تزايد طمع الأعداء فى البلاد ٠ غير أن المؤمنين الأقوياء صمدوا فى مواقعهم ، وفضلوا الموت على الفرار أمام العدو، وأصر هؤلاء الأقوياء الشجعان على بذل كل جهدهم (١٢) ٠

ويبدو أن تلك الرسالة لم تكن الأولى من نوعها التى أرسلها صلاح الدين الى مظفر الدين كوكبورى أمير اربل اذ كانت بدايتها بالعبارة التالية « قد سبقت مكاتبتنا بشرح الأحوال وما نحن عليه ٠٠ » على أية حال لم يذهب صلاح الدين على الفور للمشاركة فى التصدى للصليبيين ، وربما كان سبب ذلك أنه وجد ضرورة البقاء فى اربل ريثما يعيد ترتيب أمور امارته التى غاب عنها حوالى عشرين سنة عاشها فى معاناة من الطرد والحرمان ، ولا سيما أنه كان قد تسلمها منذ عهد قصير ٠

---

(١١) ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٦٤ - ١٦٥ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ - ٣٤٠ ٠ ثم انظر نص المنشور فى نهاية البحث ٠

(١٢) عماد الدين الكاتب ، الفتح القسى ، ص ٣٥٢ - ٣٥٤ ٠

وعلى الرغم من عدم تنفيذ مظفر الدين كوكبورى لمطلب صلاح الدين فان الأخير اضطر الى ارسال رسالة ثانية يطالبه فيها بضرورة الاسراع فى الذهاب الى ميدان القتال والانضمام الى صفوف المقاتلين · وورد بهـــذه الرسالة وصفا للحال فى عكا ، وما فعله الصليبيون · وان عكا سقطت فى أيدى الصليبيين بعد أن دافع عنها المسلمون لمدة عامين · وأن المسلمين قاموا باحراق أبراج الصليبيين وأتلفوا منجنيقات الصليبيين · وتتحدث الرســـالة عن الأعداد الاجمالية للصليبيين التى ظلت فى تزايد مستمر ، هذا فى الوقت الذى اعتقد فيه المسلمون بأن أعدادهم الاجمالية فى تناقص لكثرة القتلى بين صفوفهم سواء فى الفرسان أو الرجالة (١٣) ·

والواقع أن الرسائل من صلاح الدين الى مظفر الدين كوكبورى استمرت على أمل أن يشارك مظفر الدين كوكبورى فى القتال · وكانت الرسالة الثانية تتحدث عن تمكين الصليبيين من احتلال عكا ومحاولاتهم احتلال حيفا ، وعن شراسة القتال والتضحيات التى قدمها المسلمون (١٤) ·

على أن الرسائل الثلاث أتت ثمارها ، ودفعت مظفر الدين الى تجهيـز جيش قوى ، والذهاب الى فلسطين ، وحارب متعاونا مع صلاح الدين حتى تم عقد هدنة لمدة ثلاث سنوات ، وثمانية شهور بين المسلمين والصـــليبيين سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م (١٥) · وفور عقد تلك المعاهدة طالب مظفر الدين كوكبورى من صلاح الدين أن يسمح له بالعودة الى اربل فوافق على ذلك ، ووصل مظفر الدين كوكبورى الى اربل فى شهر رمضان ٥٨٨ هـ/١١٩٢ م (١٦) وهذه هى المرة الأخيرة التى خرج فيها مظفر الدين كوكبورى للجهاد ضـــد الصليبيين وبخاصة أن صلاح الدين توفى بعد أشهر من ذلك التاريخ ، اذ توفى فى صفر ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م ·

---

(١٣) عماد الدين الكاتب ، الفتح القسى ، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٨ ·

(١٤) عماد الدين الكاتب ، الفتح القسى ، ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩ ·

(١٥) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٢٢١ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٢٧ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، جـ ٢ ، ص ١٩٩ ؛ ابن واصل ، فرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٣٩٠ ·

(١٦) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٢٦ ·

جـــدول رقـــم (١)

أتابكة الموصل حتى نهاية عصر صلاح الدين
(٥٢١ ـ ٥٨٩ هـ

١ ـ عمـــاد الدين زنكى
(٥٢١ ـ ٥٤١ هـ / ١١٢٧ ـ ١١٤٦ م)

↑

↓ ↓ ↓

(٢) سيف الـدين غازى (٥٤١ ـ ٥٤٤ هـ ١١٤٦ ـ ١١٤٩ م)

(٣) قطب الدين مودود ٥٤٤ ـ ٥٦٥ هـ / ١١٤٩ ـ ١١٦٩ م

نور الدين محمـود مؤسس أتابـكة حلب ٥٤١ ـ ٥٦٩ هـ / ١١٤٦ ـ ١١٧٣ م

↑

↓ ↓

٥٦٥ ـ ٥٧٦ هـ / ١١٦٩ ـ ١١٨٠ م
(٤) سيف الدين غازى (الثانى)

(٥) عز الدين مسعود
ـ ٥٨٩ هـ / ١١٨٠ ـ ١١٩٣ م

جـــدول رقـــم (٢)

حـكام أربيل حتى نهاية عصر صلاح الدين

١ ـ زين الدين أبو الحسن على بن بكتكين محمد المعروف بـ (كوجك)
(٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م ـ ٥٦٣ هـ / ١١٦٨ م)

(١) مظفر الدين كوكبرى الابن الأكبر
لزين الدين على كوجك
٥٦٣ هـ / ١١٦٨ ـ ٥٦٥ هـ / ١١٦٩م
المرة الأولى)

(٢) زين الدين يوسف بن بكتكين الابن
الأصغر لزين الدين على كوجك
(٥٦٥ هـ/ ١١٦٩ ـ ٥٨٦هـ /١١٩٠م)

مظفر الدين كوكب الابن الأكبر لزين
الدين على كوجك
٥٨٦ هـ / ١١٩٠ ـ ٦٣٠ هـ /
١٢٣٣ م)
(للمرة الثانية)

جزء ملحق رقم (١) صلاح الدين الأيوبى

نص من المنشور الذى أرسله الى زين الدين يوسف بن زين الدين على كوجك باربل ٥٨٠ هـ عند استقلال زين الدين عن الموصل وتعاونه مع صـــلاح الـدين

« ان الله لما مكن لنا فى الأرض ، ووفقنا فى اعزاز الحق واظهـــاره لأداء الفرض ، رأينا أن نقدم فرض الجهاد فى سبيل الله فنوضح سبيله ، ونقبل على اعلاء الدين وننصر قبيله ، وندعو أولياء الله من بلاد الاسلام الى غزو أعدائه ، ونجمع كلمتهم فى رفع كلمته العليا فى أرضه على استنزال نصره من سمائه . فمن ساعدنا على أداء هذه الفريضة واقتناء هذه الفضيلة يحظى من عوارفنا الجزيلة بحسن الصنيعة ونجح الوسيلة ، ومن أخلد الى الأرض واتبع هواه ، وأعرض عن حق دينه بالاقبال على باطل دنياه ، فان تاب قبلناه، وان أصر على غوايته أزلنا يده وعزلناه » (١) .

---

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .

ملحق رقـم (٢)

نص جزء من كتاب صلاح الدين الى عز الدين مسعود صاحب الموصل ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م بشأن تعيين مظفر الدين كوكبورى حاكما على اربل وبلادها بالاضافة الى ولاية شهرزور خلفـا لأخيه زين الدين يوسف بن زين الدين على كوجك

« لا شك فى احاطة العلم بانتقال زين الدين يوسف الى جوار الله تعالى ومقر رحمته ، مجاهدا فى سبيله ، شاكرا لنعمته ، وهو من السعداء الـذين أنزل الله فيهم : ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه المـوت فقد وقع أجره على الله . فما أوجع القلوب بمصابه وما أنكى فى النفـوس افول شبابه ، ولقد كانت الهمة متوفرة على تربيته واعلاء درجته ، ولـكن الله استأثر به قبل ظهور حسن الآثار فى ايثاره ، وبلى بدره التم بسراره فى ضمير البلى من أسراره ، وهذه اربل من انعام البيت الأتابكى على البيت الزينى منذ سبعين عاما ، لم يحلوا العقد انعامهم بها نظـاما ، ولم يزيدوا أحكامه الا احكاما وابراما وما رأى أن يخرج هذا الوضع منهم ، وأن يصدق به عنهم ، والأمير الأجل مظفر الدين كبير البيت وحاميه ، والمقدم فى الولاية، بمقتضى وصية أبيه ، وقد انهض ليسد مسد أخيه » (١) .

---

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ .

ملحـــق رقـــم (٢)

نص وصف ما قدمه عز الدين مسعود صاحب الموصل من نفط أبيض وسلاح ٥٨٥ هـ لصلاح الدين فى الشام وجزء من رسالة الشكر على ذلك والتى صاغها عماد الدين الكاتب الأصفهانى

« ولما عرف صاحب الموصل ما شرع فيه السلطان من تكثير العدة ، وتقوية النجدة ، لكل ما يمكنه من أسباب البأس والشدة ، سير من أحمال النفط الأبيض مع عزة وجوده ـ ما وجده · ومن التراس والرماح ـ من كل جنس ـ أحكمه وأقومه وأجوده · وشاع الاعتداد ، وذاع الاحماد ، ودل ذلك على انتشاج الوداد ، والامتزاج والاتحاد ·

وكتبـا فى شـــكره

وصل السلاح ، وتم للاسلام من قرح الكفر الاقتراح ، واستجيدت التراس والرماح ، وفارقت للقائها أجسام الأعداء الأرواح ، واتصل النفط الواصل من أهل النار الاحتراق ، وتعنت وضربت منهم النحور والاعناق · وقد هدأ بما اهداه النصر الى الهدى ، والردى الى العدا · وأجود الأكارم وأكرم الأجاود من جاد بما أجدى وأهدى ما هدى ، وعاد من المكرمة بما بدا ·

لا اخلى الله المجلس من يد يتخذها ، وأياد يسيرها وينفذها ، ومحمدة يستخلصها لنفسه ويستقضيها ، وحمية للدين يقم بها حماة الشرك ويقذها ، ونخوة للاسلام تمبى حدود الهمم النابية وتشحذها ·· الخ (١) ·

---

(١) العماد الكاتب الاصفانى ، الفتح القسى فى الفتح القدسى ، ص ٣٥٠ ·

فصل من كتاب الى صاحب الموصـــــل (عز الدين مسعود)
فى شكره على تسيير ولده (الملك السعيد علاء الدين خرم شاه)
(ســـنة ٥٨٦ هـ)

« الحمد لله الذى نصر الدين بأهله ، وعجل بانصاره جمع شمله ، ووفق أسد عرين الملك أن يحمى حوزة الاسلام بشبله · وللمجلس فى طوله اليد الطولى ، والمنة الثانية التى أربت على الأولى · حيث حث همته العلية ، وحض لحظة دينه عزمته الماضية المضية ، وشرف بولده علاء الدين من تقلد بورودده أوفى منه ، وتعجل من وفوده أقوى منه وأوفى جنة · فلقد ورد الى الساحل بحرا ، وطلع فى ليل القساطل بدرا ، وأسفر لمرتعبى صباح النصر فجرا ، وجلا وجوه المؤمنين ببشراه بشرا ، وملأ صدر الاسلام أمنا وقلب الكفـر ذعـــرا » (١) ·

---

(١) العماد الكاتب الاصفهانى ، الفتح القسى فى الفتح القدسى ، ص ٣٨٣ ·

فصل من كتاب الى صاحب الموصل (عز الدين مســـعود)
عند عود ولده اليه وينعت بالملك السعيد علاء الدين (سنة ٥٨٦ هـ)

« ما كان أسعدنا بقرب الملك السعيد ، وما أجد جدنا بانارة نوره ، وأوفر حبورنا بحضوره ، وأصدق شهود صدق ولاته بحكم شهوده ! وما أبهج الاسلام بنصرة ناصره ، ونجدة وليه وودوده ! ولقد تمت بأيا من أيامه وبركات مقامه فى العدو نكايات ، وظهرت لأولياء الله من ألطاف كفاياته آيات ، ووقعت بالمشركين روعات ، وراعت وقحات ٠

وقد أردنا أن نستظهر بمرافقته ، ونبنى الأمور على موافقته ٠ فمـــا أيمن سعده ، وما أسعد يمنه ! وما أوقر وزنه ! لكنا عرفناه شق المجلس الى اجتلاء سناه ٠ بمقتضى آدابه التى استكمل بها أدوات الارتقاء فى مطـــالع علاه ، فقد فاق بسداد رأيه الكهول ، وما أزكى الفروع الطيبة اذا اشبهت الأصول ، وما أسعد الملك بالملك السعيد علاء الدين ، أدام الله علاءه ، وسر بفضائله أولياءه ٠

وقد توجه والقلوب معه متوجهة ، والنفوس لغيبته متكرهة ، والعيـون لترقب ورود البشائر عنه متنبهة ، والأيام لظلمة الاستيحاش بالليالى متشبهة، والموارد الى أن يمن الله بعود الأنس بعودته متنبهة ، والالسن بذكر أخلاقه الطاهرة والافاضة فى شكر محاسنه الزاهرة متفوهة ، والخواطر فيما تمثلته أيام الاستسعاد به من مبهجات آلائه متنزهة ٠

ولا شك أنه يصف بلهجته الفصيحة ، ما اقتناه من المتاجرة الربيحة ، وقدمه من المساعى النجيحة ، واستنجحه فى الغزاة من مغازيه الصحيحة ، وأبداه فى البأس من بسالته المشيحة ، وأطلعه فى ليل العجاج من صبيحة بهجته الصبيحة ٠ وله فى كل نصرة وهبها الله للاسلام أو فى نصيب ، فقـــد أصمى مقتل الكفر بكل سهم مصيب ، وهو لمستصرخ الهدى أسبق ملب وأسرع مجيب ، وأن الله له بسفور صبح سعادته ووفور نجح ارادته أفضل مثيب »(١)

---

(١) العماد الكاتب الاصفهانى ، الفتح القسى فى الفتح القدسى ، ص ٤٥٥ ٠

فصل فى شكر صاحب الموصل (عز الدين مسعود) على انقاذ

فصل فى شكر صاحب الموصل (عز الدين مسعود) انقاذ الجصاصين لحفر الخنـــدق (ســـنة ٥٨٧ هـ)

« لقد أصبح البيت المقدس يقدس ويسبح ، ويعرب عن فضيلة منجده ويفصح • فقد وصل الرجال الواصلون بالنجح رجاءه ، الحامون بحفر خندقه أرجاءه ، وما فيهم الا من أبان عن جده ، وأبان بحده ، وألان الشديد بشده، وثلم الحديد بثلم الصخر وهده • وهذه لا شك مقدمة لما وراءها من نتائج النجدات ، وجدوى سابقة للواحق فى مناهج الجدات ، وعارفة معرفة فى قمع العداة باجراء العادات فى انجاز القدرات وللعدو انتظار لنجدات بحـــرية وارتقاب ، وومضات جمر تحت رماد كيده يوشك أن يكون لها التهـاب • والهمة السامية لا تفتقر فى هذا الباعث الى باعث ، وعند عزائمه حـــديث كل حادث » (١) •

---

(١) العماد الكاتب الاصفهانى ، الفتح القسى فى الفتح القدسى ، ص ٥٧٦ •

وصف وصول زين الدين يوسف بن زين الدين على كوجك صاحب اربل سنة ٥٨٦ هـ

« ثم وصل (زين الدين يوسف بن زين الدين على كوجك) صاحب اربل، يوم الأربعاء فى العشر الأخير من جمادى الاولى (٥٨٦ هـ) ذو السماح المؤمل والمجد المؤثل ، بجيش كالسحاب المسبل ، قدرت أخلاف النصر بحفول ذلك الجحفل · وورد بكل ورد هنى ، وجد سنى ، وقدم بكل مقدام ، وزار خيس الجيش بكل ضرغام ، وزأر بكل همام بالمنون همام · ووصل بكل واصل لسبب النصر ، قاطع دابر الكفر · ووفد بكل وافد باليمن الوافى ، والنجح الكافى، والعز الصافى ، والعزم الشافى · وطلع بكل طالع بالسنى ، جامع للمنى ، فارع بالغنى ، فارك للخنى ، سافك دم الشرك بالظبا والقنا · وكان هذا أول يوم لقائه للسلطان ، وأحسن اليه بالكرام وزاد فى الاحسان · وكان يجمع بين الحماسة والسماحة ، والبشاشة والرجاحة · والتودد الى الناس ، والتشدد بالبأس · والتواضع مع الكرم ، ودنو الود مع علو الهمم ماله مبذول ونواله مأمول ، وسيفه على الكفر مسلول ، وأمره بالطاعة فى رعيته ومن فى جملته مقبول · وهو مرجو مخشى ، وكريم مغشى ، ومهيب مرجو ، ومحسن بسنى الحمد مجلو · وكان معه خلق كثير ، فى سلك الاتساق ومسلك الاتساع مسلك الاتساع نظيم نثير · وأنزل بقرب أخيه مظفر الدين فى الميسرة ، وتمكن الرعب بما تم من الجمع فى قلوب الكفرة » (١) ·

---

(١) عماد الدين الكاتب الاصفهانى،الفتح القسى فىالفتح القدسى ، ص ٣٨٣-٣٨٤·

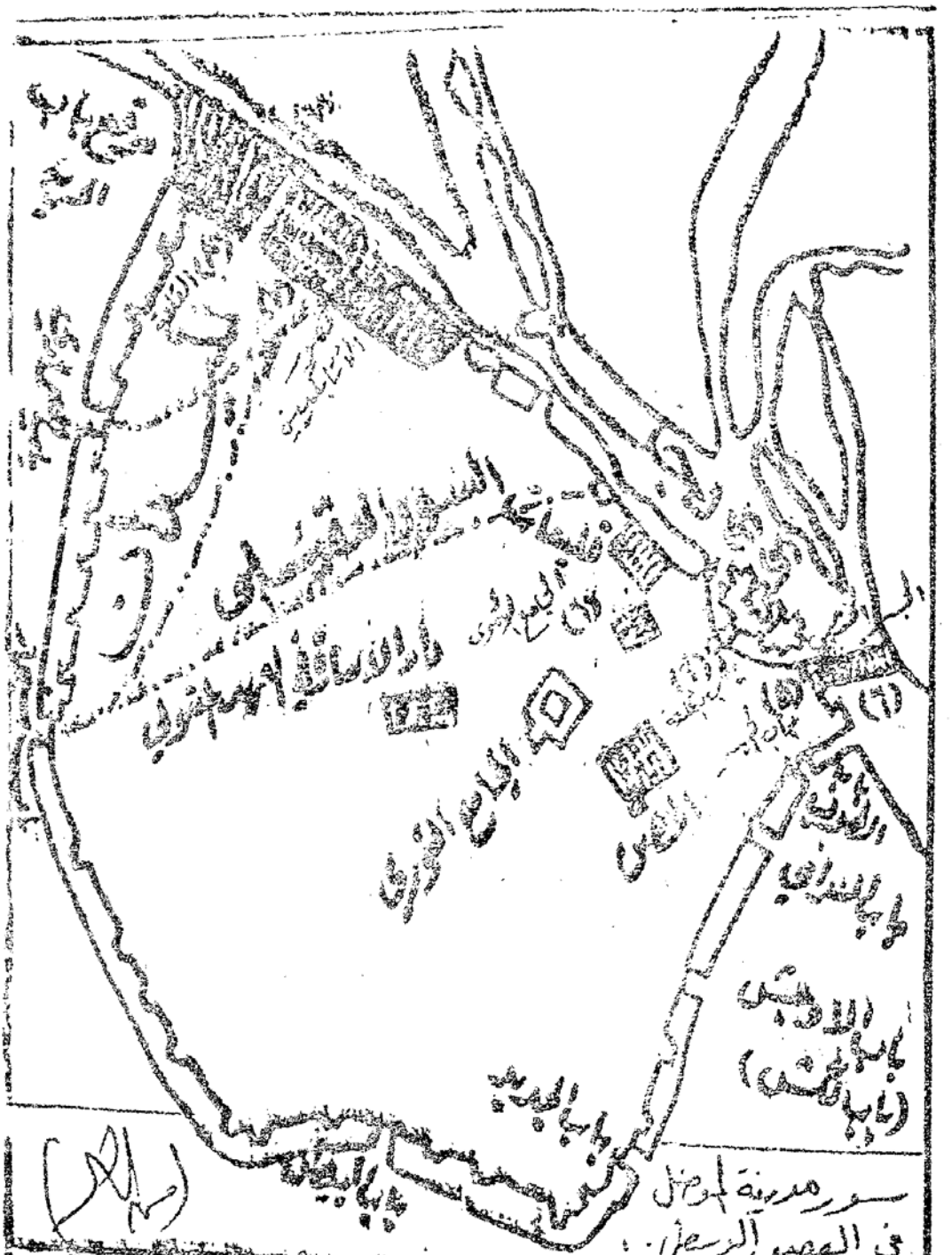

سور مدينة الموصل
في العصر الرسمي

تقرير عن : سعيد الديوه جي ، الموصل في العهد الأيوبي
وبغداد ١٩٦٥م

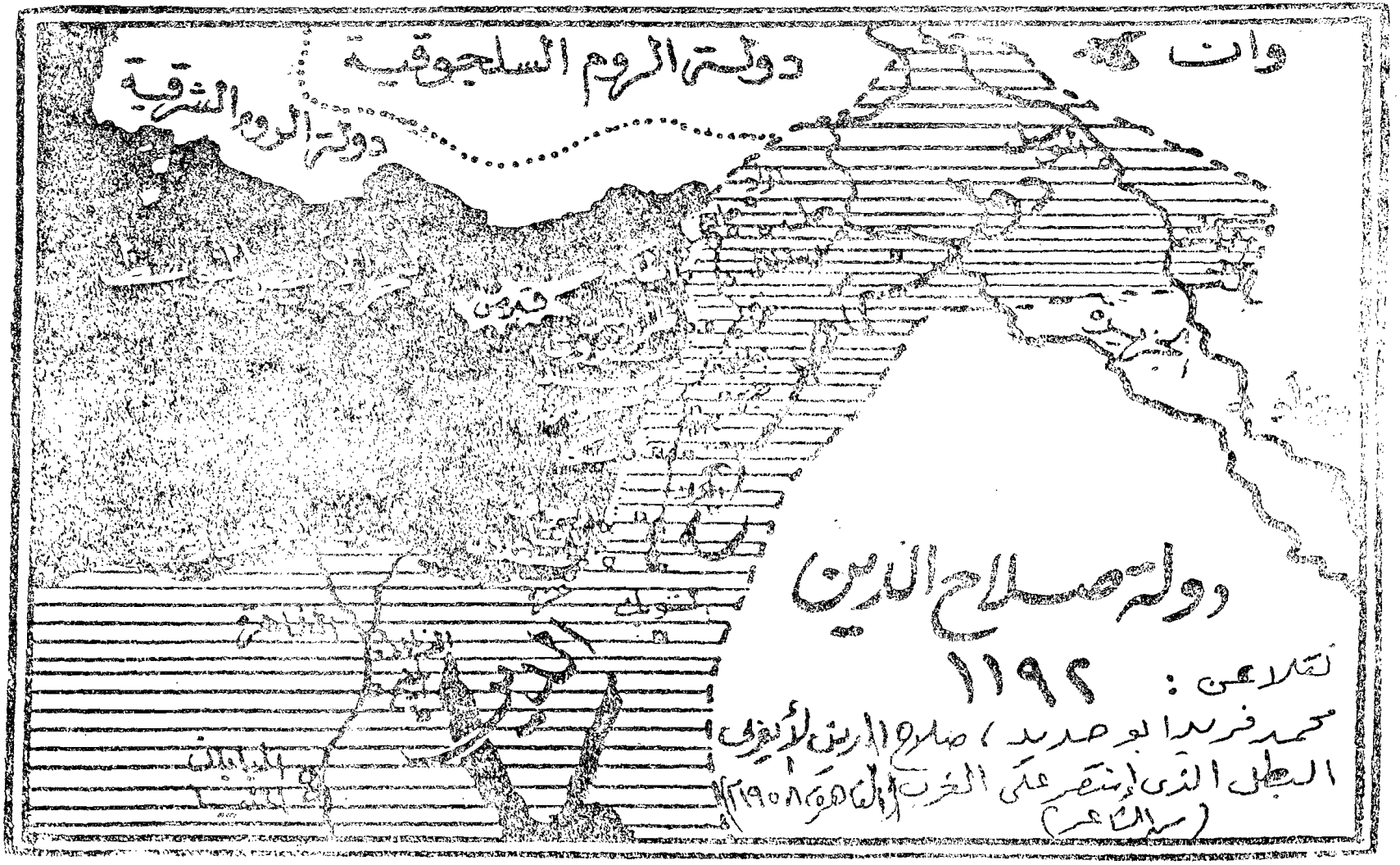
وان
دولة الروم السلجوقية
دولة الروم الشرقية
قدس
دولة صلاح الدين
١١٩٢
تلاعن :
محمد فريد ابو حديد ، صلاح الدين الأيوبي
البطل الذي إنتصر على الغرب (القاهرة ١٩٥٨م)
(سيد الشاعر)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المصـــادر

— ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن على بن محمد الشيبانى ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)
الكامل فى التاريخ (بيروت ١٩٨٥ م)

— ـــــــــ التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية
تحقيق عبد القادر أحمد طليمات (القاهرة ١٩٦٣ م)

— ابن أيبك الدوادارى (أبو بكر عبد الله ت ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م)
كنز الدرر وجامع الغرر

الجزء السابع وعنوانه (الدرر المطلوب فى أخبار بنى أيوب)
تحقيق دكتور سعيد عاشور (القاهرة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م)

— ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ)
النجوم الزاهرة فى أخبار ملوك مصر والقاهرة (القاهرة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ م)

— ابن جبير ، (أبو الحسن محمد بن أحمد الكنانى ، ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م)
رحلة ابن جبير (بيروت ، ١٩٨٦ م)

— ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)
تاريخ ابن خلدون المسمى (العبر وديوان المبتدأ والخبر)
(بيروت ١٩٦١ م)

— ابن خلكان ، (شمس الدين أحمد بن محمد ، ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)
وفيات الأعيان وأنبـــاء أبناء الزمان ، تحقيق محمـــد محيى الدين عبد الحميد (القاهرة ، ١٩٤٩ م)

— ابن شداد ، (بهاء الدين يوسف بن رافع ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م)

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين)
تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال (القاهرة ، ١٩٦٤ م)

- ابن شاهنشاه (الملك المنصور محمد عمر الأيوبى، ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠م)
مضمار الحقائق وسر الخلائق
تحقيق الدكتور حسن حبشى (القاهرة ، ١٩٦٨ م)

- ابن العديم (كمال الدين أبو القاسم عمر أحمد بن هبه الله ، ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م)
زبدة الحلب فى تاريخ حلب
تحقيق سامى الدهان (بيروت ١٩٦٨ م)

- ابن العماد الحنبلى (أبو الفـــلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م)
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب
٨ أجزاء (القاهرة ، ١٣٥٠ هـ)

- ابن كثير (عماد الدين ابن أبى الفداء اسماعيل ، ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)
البداية والنهـــاية
ج ١٢ (بيروت ، ١٩٦٦)

- ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ، ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م)
مفرج الكروب فى أخبـار بنى أيوب
جـ ١ ـ ٢

تحقيق د. جمال الدين الشيال ، (القاهرة ، ١٩٥٣ ـ ١٩٥٧ م)

- أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م)
الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية
تحقيق د. محمد حلمى محمد أحمد (القاهرة ، ١٩٥٦ م)

— الأصفهانى (عماد الدين الكاتب الأصفهانى ، ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م)
الفتح القسى فى الفتح القدسى
تحقيق محمد محمود صبح (القاهرة ، ١٩٦٥ م)

— البندارى (قوام الدين الفتح بن على ، ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م)
سنا البرق الشامى
القسم الاول · تحقيق رمضان ششن (بيروت ١٩٧٠ م)

— الحنبلى (أبو البركات عز الدين أحمد بن ابراهيم نصر الله ت ٨٥٦ هـ/ ١٤٧١ م)
شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب
تحقيق د· ناظم رشيد شيخو (بغداد ، ١٩٧٨ م)

— سبط ابن الجوزى ، (أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزواغلى التركى ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م)
مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان
القسم الأول من الجزء الثامن ، وقائع سنة ٤٩٥ ـ ٥٨٩ هـ
(حيدرآباد ، الهند ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م)

— السبكى (عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى ، ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م)
طبقات الشافعية الكبرى
الجزء السابع تحقيق محمود محمد الطناحى العبد الفتاح محمد الحلو
(القاهرة ، ١٩٧٠ م)

— الغسانى (أبو العباس اسماعيل بن العباس (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م)
العسجد المسبوك والجوهر المحكوك فى طبقات الخلفاء والملوك
دراسة وتحقيق شاكر محمود عبد المنعم (بغداد ، ١٩٧٥ م)

— القلقشندى ، (ابو العباس احمد بن على ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)
صبح الأعشى فى صناعة الانشا
(القاهرة ١٩٦٣ م)

ـــ المقريزى (تقى الدين احمد بن على ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)
السلوك لمعرفة دول الملوك ـ الجزء الأول
تحقيق د٠ محمد مصطفى زيادة (القاهرة ، ١٩٣٩ م)

ـــ ياقوت ، (ابو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الحموى الرومى ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)

معجم البلدان (القاهرة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٦ م)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المراجـــع

— أحمد بيـلى (دكتور)
حياة صلاح الدين الأيوبى
(القاهرة ١٩٢٦ م)

— ارنست باركر
الحروب الصليبية
(بيروت ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م)

— جمال بابان
اصول اسماء المدن والمواقع العراقية ـ الجزء الأول
(بغدد ١٩٨٩ م)

— رشيد الجميـــلى
دولة الأتابكة فى الموصل بعد عماد الدين زنكى ، ٥٢١ هـ ـ ٦٣١ هـ
(بيروت ١٩٧٠ م)

— سعيد الديوه جى
تاريخ الموصـــل ـ الجزء الأول
(بغداد ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م)

— سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)
الحركة الصليبية ـ جـــزءان
(القاهرة ١٩٧١ م)

— سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)
الناصر صلاح الدين
(القـــاهرة ١٩٦٥ م)

ـــ سهيل زكار (دكتور)
(حطين) مسيرة التحرير من دمشق الى القدس
(دمشق ١٩٨٤)

ـــ سوادى عبد محمد (دكتور)
الأحوال الاجتماعية والاقتصادية فى بلاد الجزيرة العراقية خلال القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى (بغداد ١٩٨٩ م)

ـــ السيد الباز العرينى (دكتور)
الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ـ القسم الأول (الايوبيين)

ـــ عبد القادر أحمد طليمات (دكتور)
مظفر الدين كوكبورى ـ مير اربل (القاهرة ١٩٦٣ م)

ـــ فايد حماد محمد عاشور (دكتور)
الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين (فى العصر الايوبى)
(القاهرة ١٩٨٣ م)

ـــ محمد فريد ابو حديد
صلاح الدين الأيوبى وعصره (القارة ١٩٢٧ م)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرست

الموضوع	صفحة
المقدمة	٣ - ٨
صلاح الدين وامارة الموصل	٩ - ٤٢
صلاح الدين وامارة اربل	٤٣ - ٥٨
الجداول والملاحق والخرائط	٥٩ - ٧٠
المصادر	٧١ - ٧٤
المراجع	٧٥ - ٧٦

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رقم الايداع ٢٢٧٦ / ١٩٩١

I. S. B. N. 977 — 00 — 1184 — 3

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com